الفهرس

صحيفة

اليأس من الحضارة ... ... : الأستاذ علي أدهم ٣

أصناف الآلهة ... ... : الأستاذ عبد المنعم الليجى ٨

نظرات فلسفية :

فلسفة العدم ... ... : الأستاذ يحيى هويدى ١١

رؤية الله في مذهب المعتزلة ... ... : الدكتور ألبير نصرى نادر ١٥

كيف :

استغلال قوى الطبيعة ... ... : الأستاذ محمد فتحى عبد الوهاب ١٧

من بطون الكتب :

وتيسك . أرجل خير هو أم رجل سوء؟ : الأستاذ مبارك إبراهيم ٢٠

من الأدب العربي :

الندوة العمرية في الموصل ... ... : الأستاذ رمضان أحمد البكر ٢٣

يحكى أنه :

آكل اللوتس ، لسومرست موم ... ... : ترجمة الأديب حسين أحمد أمين ... ٢٦

قصائد :

يا حمرة الخط ... ... : الأستاذ عمر عبد العزيز الأقصرى ... ٢٩

عند الوداع ... ... : الأستاذ علي جليل الوردى ٢٩

ملابس شاعر ... ... : الأستاذ محمود عبده الخامسى ٣٠

أسبوعية الشطرنج ... ... : الأستاذ حسن توفيق فائق ٣١

ثمن العدد ٢ قرشان صاغاً

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتياز — الدكتور أحمد أمين بك | الإدارة | رئيس التحرير المسئول — محمد عبد الواحد خلاف بك

١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة ، تليفون ٤٢٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العدد ٥٨٦ | الاثنين ٢ من جمادى الآخرة سنة ١٣٦٩ — ٢٠ من مارس سنة ١٩٥٠ | السنة الثانية عشرة

اليأس من الحضـــــارة

للأستاذ علي أدهم

في خلال القرن الثامن عشر حدث تحول في الفكر الأوربي ، من الاعتقاد بأن أمور الدنيا تسير على أحسن منوال ، وأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان ، إلى الاعتقاد بأن أمور العالم ليست على ما يرام ، وأن الوجود عامر بالتناقضات والمساوئ والعيوب التي تثير الشكوك والتي لا يمكن تسويغها والاطمئنان إليها إلا بشيء من التغافل المتعمد أو المغالطة المكشوفة ؛ وقد بدأ هذا التحول رويداً رويداً حتى قويت تلك النزعة الثائرة المتمردة الناقمة المتبرمة ، ووجدت في فولتير وروسو أقوى معبرين عنها ، وأبلغ القائلين بلسانها ، وأعظم حاملين لمشعلها .

وكان أنصار هذه النزعة مجمعين على وجود العلة وفساد الأمور والتوائها ، ولكنهم كانوا يختلفون اختلافاً كبيراً في تشخيص المرض وتحديد موطن الداء ، وقد ساء فولتير وهاله ما رآه ولمسه من شقاء البشر ، وسقم تفكيرهم ، وقسوتهم ، وظلمهم ، وطغيانهم ، وعدم اكتراث الطبيعة بأحوال البشر ، وأغراه ذلك بإنكار فكرة العناية الإلهية المشرفة على الدنيا والقول بأنها خرافة لا نصيب لها من الحقيقة ؛ ولكنه ظل مع ذلك واثقاً بقوة العقل مؤمناً بالحضارة ، ولم يفقد يقينه بالتقدم والرقي عن طريق الاستنارة والاعتدال وعلاج التعصب . أما روسو فقد ذهب مذهباً آخر ، فرأى أن الله خيّر عادل ، وأن الإنسان في الأصل وكما خلقه الله كذلك خيّر صالح ، وأن الشر ليس في الطبيعة وإنما هو شيء غير طبيعي ، وأن سبب هذا الشر هو الحضارة ؛ فالحضارة تعلي من شأن العقل ، وتزين لنا الكبرياء والاعتزاز به ، وتفسد الغرائز ، وتغري بالإمعان في الظلم والطغيان .

وقد لعب هذان الرجلان دوراً هاماً في التفكير الأوربي والسياسة الأوربية ، وأثرا فيهما تأثيراً بعيد المدى عميق الجذور ؛ فإن الجم الغفير من الناس الذين احتفلوا سنة ١٧٧٨ بعودة فولتير إلى باريز بعد أن غاب عنها ثلاثين عاماً هم الذين اقتحموا الباستيل في سنة ١٧٨٩ ، وكان زعماء الثورة الفرنسية من المتأثرين بكتاب العقد الاجتماعي الذي كتبه روسو ؛ ولقد كانت الملكة كاترين الروسية من المعجبات بفولتير ، ولكنها لما وقفت على الاتجاه الحقيقي للأفكار الجديدة أمرت بإبعاد تمثال فولتير النصفي الصغير من حجرتها ، وهو احتياط من القيصرة المستنيرة والسياسية الخطيرة لم يجد شيئاً ، ولم يستطع بطبيعة الحال أن يغير مجرى الحوادث ؛ فقد كان الثائرون في روسيا من المتأثرين

بآراء ڤولتير وروسو ، وقد حاولوا أن يصنعوا في موسكو وبتروغراد ما صنعه الفرنسيون في باريز ، وكان كبير الكتاب الروسيين ليو تولستوي يحمل وهو غلام يافع وساماً قد نقشت عليه صورة روسو ، وظل إلى النهاية متأثراً به في اتجاهاته الأدبية والسياسية والدينية .

وكان موقف ڤولتير في مطالع حياته من مسألة وجود الشر في الدنيا مثل موقف بولنجبروك وپوپ الشاعر الإنجليزي المشهور ، وعندهما أن الاعتقاد بكمال الله ينفي وجود الشر ، وأقوى الأدلة على وجود الله هو نظام الطبيعة البديع وما بها من توافق وانسجام وتجاوب وائتلاف وبهاء وجمال ، ولا يمنع ذلك وجود نقائص في الإنسان لأنه محدود فان ؛ ومن أقواله في الرد على پسكال : « ولقد تعجبت من أن الله خلق الإنسان على هذا القدر من الجهل والأكدار واليؤس ، ولكن لماذا لا تعجب من أن الله لم يخلقه أكثر جهلاً مما هو ، وأشد بؤساً ، وأضيق عقلاً » ، وكان يسره أن تتفق آراؤه في ذلك مع آراء پوپ ، وكان كذلك يقر بولنجبروك على قوله : « إنه من السخف أن نتحدث عن العدالة الإلهية أو الظلم الإلهي كما نتحدث عن الله بوصفه أزرق اللون أو مربعاً » .

ولكن تفاؤل ڤولتير وحسن ظنه بالله والطبيعة طرأ عليه تغير واستهدف لصدمة عنيفة ، وقد كانت حياة ڤولتير نفسها معركة طويلة في مكافحة الظلم والغباء والتعصب والقسوة والوحشية ، وقد سجن في الباستيل ونفي من باريز ، وقد رحب به في برلين فردريك الأكبر ، ولكن قال عنه بعد ذلك : إنه برتقالة يريد أن يمتصها ، وأثارته قطاعات رجال الدين ومنكراتهم وكبائرهم فشن عليهم حملات شعواء ، وأعلن أنه لا يستريح له بال حتى يسحق الحقارة والنذالة ؛ ولما حدث زلزال لشبونة المشهور نظم في ذلك قصيدة ذائعة الصيت انتقص فيها فكرة العناية الإلهية وسخر بها ، ولكن تشاؤمه وسخريته يتجليان في أروع صورهما في روايته المطلمة التي أسماها « كانديد » أو التفاؤل ، وفيها التأنق في السخرية بفكرة أن هذه الدنيا أحسن دنيا ممكنة وتمزق أديمها تمزيقاً شديداً .

وهو يتساءل : لماذا نكبت لشبونة ؟ وهل نكبت بسبب ما اقترفه أهلها من آثام ؟ إذا كان الأمر كذلك فهل أهل لندن وسكان باريز أعف وأتقى من القاطنين في لشبونة ؟ وإذا كان الزلزال جزءاً من نظام الطبيعة ، فهل منعه من وراء قدرة الله ؟ وهل كان الكون يزداد سوءاً لو منع هذا الزلزال ؟ وهل يخبر الله أهل لشبونة ويلومهم بذلك ، أو هو واقف موقف المتفرج على شقاء أهلها ونكبتهم ؟ وينتهي هذا التساؤل بقوله : « إني لا أعرف شيئاً » .

وهكذا تترك هذه الشكوك ڤولتير في ظلمة مدلهمة من اليأس وتجعله يعتقد أن كتاب القدر مغلق لا يدري الناس من أمره شيئاً ، وأن البشر ذرات منتثرة ، ولكنها مفكرة شقية تحاول قياس الفضاء المترامي الشاسع واختراق اللانهاية ، وهي مع ذلك تجهل موقعها ولا تعرف حظها ، وادعاء الحكمة سخف محزن ، ونحن لا نستطيع أن ننكر أو نثبت وجود العناية التي لا نرى لها آثاراً ، ويلوذ ڤولتير بالشك ويعتصم به إن كان بالشك ملاذ ومعتصم .

ولم يكن ڤولتير شكاً عاكفاً على نفسه منكمشاً محزوناً ، وإنما كان شكاً ممتعاً ساخراً ، يجد متعة في الاستهزاء بالمتفائلين والتهكم عليهم ، وسخريته لاذعة ناصعة ، ورواية كانديد سخرية عامة شاملة لأحوال الدنيا ، قد استوفت فيها بيان أسباب التشاؤم وأجاد استقصاءها ، وكانديد المسكين لا يريد أن يتطاول على آراء بانغلوس المعظم ، ولكن تجاربه المرة تركته في حيرة وارتياب وجعلته يتساءل : « إذا كانت هذه الدنيا خير دنيا ممكنة فما عسى أن يكون حال الدنى الأخرى ؟ » وينتهي الأمر بكانديد إلى ترك التفكير في هذه المعضلات والاكتفاء بأن نزرع حديقتنا ! والواقع أن هذا هو الحل الذي انتهى إليه ڤولتير وحده ، ولم يفقد ڤولتير يقينه وأمله في الحضارة برغم شكه .

وروسو لا يقر ڤولتير على هذه الآراء ، فڤولتير في رأيه قد جعل شرور الحياة ومساوئ المجتمع مسائل كونية ، وإنما أكثر هذه المساوئ والعيوب مأجره الإنسان على نفسه بسوء تصرفه وفساد نظمه .

وقد كانت حياة روسو حياة مضنية شاقة ، فقد كان رجلا شديد الحساسية لا يبالي بما يصنع ، أفاقاً يبغي المثل الأعلى ولا يترفع عن الدنايا والنقائص ، وحياته مليئة بالغرامات الشنيعات والسخافات والمضحكات ، وقد هرب من حيث مسقط رأسه ليتلافى الضرب من سيده ، وتقلبت به الأحوال واختلفت عليه صروف الدهر ، وذاق مرارة الإخفاق ، وأحس أن آلامه تضيع سدى ، وأن آماله تذهب هباء ، وأن الناس لا يعترفون بوجوده ولا يفهمونه ، ولم يعجبه ما كان يرى في العواصم من مظاهر البذخ والترف ، وساءه ورآه أن تفرق بين الناس فواصل الطبقات ، وتمرد الشعور الكامن في نفسه على التفكير العقلي السائد في عصره ، وبينما كان يسير في ذات يوم قاطعاً الطريق من باريس إلى قصر فنسين ليزور ديدرو قرأ في إحدى الجرائد إعلاناً عن مسابقة أدبية لها جائزة موضوعها « هل كان من أثر العلوم والفنون أن أصلحت الآداب أو أفسدتها ؟ » فأثار هذا الموضوع كوامن نفسه وأخذت تومض فيها بوارق الأفكار وتتوالى عليه [illegible] الخواطر ، حتى أحس من فرط تكاثرها وازدحامها كأن الأرض تدور به ، وتوالت سرعة [illegible] النفس في السير لتضيق نفسه ، وارتمى تحت ظل إحدى الأشجار القائمة على الطريق ، وقضى نصف ساعة وهو في حالة شديدة من الاهتياج وثورة النفس وتضارب الأفكار .

وكانت شكوى روسو من الحضارة مشابهة لشكوى ديوجين ؛ فهو قد طوف في شوارع باريز وهو يحمل مصباحاً في رابعة النهار ليبحث عن رجل صادق الرجولة ، ولكنه لم ير إلا أقنعة وأشباحاً ، ولم يصادف إلا عواطف كاذبة ، وأدباً مزيفاً ، وطلاء وتمويهاً ، وكذباً ومخاتلة ، وجبناً ورياء ، وادعاء وعبودية وضعة ؛ وفي مثل ذلك الجو الفاسد تنبت الرذائل ، ويعم الفساد ، ويكثر الفجور ، فلا صداقة خالصة نقية ، ولا تقدير ولا احترام ، وإنما يعرف الناس في أمثال هذه الأحوال سوء الظن والخيانة والغدر والملق ، وكل ذلك وراء ستار رقيق من التأدب الكاذب والتلطف المسموم .

وقد عزا روسو هذا الفساد الذي أصاب الطبيعة الإنسانية إلى انتشار الفنون والعلوم ، وذهب إلى أنه كلما ازدادت الفنون والعلوم انتشاراً ازدادت الطبيعة الإنسانية فساداً والتواء ، ومصر واليونان وروما ودول الشرق لم تزل من عليائها ولم يدب فيها الضعف وتعصف بها الحوادث إلا حينما تحضرت واستغرقتها الحضارة . أما شعوب التاريخ التي عرفت بالخشونة والصلابة مثل قدماء الرومان والجيتيين والألمان فقد ظلوا في التاريخ أمثلة للطبيعة الإنسانية الصافية النقية . ولابد أن يفسد العلم والفن الأخلاق لأنهما يولدان في الفساد ، فعلم الفلك يولد في الاعتقاد بالخرافات ، وفن المرافعة والمحاماة ينشأ في جو الطموح والمطامع والكراهية والملق والخداع والغش ، والهندسة باعثها الشح والبخل ، والعلوم الطبيعية سببها حب الاستطلاع المغرور الزهو ، ولو لم يكن هناك ظلم لما كانت هناك حاجة إلى القضاء ، ولو لم يكن هناك طغاة وحروب ومؤامرات لما كانت هناك حاجة إلى كتابة التاريخ . ولما كانت الفنون والعلوم من نتائج الغرور والزهو والبطالة والترف فإن الإقبال عليها والإسراف في احتذائها خطر [illegible] لأنه يخلق حضارة قائمة على عبادة [illegible] والحركات الرشيقة ، والعادات [illegible] صنائع البطولة والإقدام ، ومزايا [illegible] ، ويرجو روسو الله القادر على كل شيء أن ينقذنا من شر الاستنارة والفنون والعلوم ، ويرد علينا الجهل والبراءة والفقر ، فإنها مقومات السعادة وراحة البال وصفاء النفس .

ثورة روسو على الحضارة سببها أن الحضارة قد سلبت الناس الحرية والطلاقة ، وعكرت صفاءهم وأفسدت طباعهم وعلمتهم الطغيان والاستبداد وعدم المساواة وهي مصدر الشر في رأي روسو ، وهو يصف حياة المتوحشين بأنها حياة فضيلة لم يشبها الفساد ، وحرية وانطلاق ، وفيها تفاوت بين الناس سببه التفوق في القوة الجسدية وبراعة الحركات ، ولكنها مع ذلك ليس فيها استعباد وإذلال ، وإنما فيها تعاون على الخير وتوفير أسباب الراحة ، وتقدم الإنسان في الفنون استدعى وجود الحكومات ، ووجود الحكومة تطلب وجود النظم السياسية والاجتماعية التي تضمن للأغنياء التسلط على الفقراء ، والتفوق الدائم عليهم ، وهذا هو علة وجود الحكومات في رأي روسو ، والملكية الخاصة وعدم المساواة

هما أساس الحضارة ، والفنون والعلوم هما ثمرتها ، والبؤس والفساد هما محصل ذلك كله . وروسو في ذلك كان متميزة بلغة رنانة واضحة سهلة الفهم ، لا يعجب الإنسان حين يتأملها من أن كانت هذا الرجل كانت من بواعث الثورة الفرنسية .

ولم تعجب هذه الآراء صديقه فولتير ، فكتب إليه حينما تلقى الرسالة التي أوضح بها روسو وجهة نظره يقول : « لقد تسلمت يا سيدي كتابك الجديد الذي حملت فيه على بني الإنسان ... ولم يبذل من قبل مثل هذا الجهد الفكري لجعلنا جميعاً بهائم جاهلة غبية ، وحينما يقرأ الإنسان كتابك يهم بأن يمشي على أربع » .

ولم يقصر روسو في اغتنام الفرصة لرد هذه التحية إلى فولتير حينما ظهرت قصيدة فولتير في زلزال لشبونة ، فقد كتب إلى فولتير يقول له : « إن معظم ما يصيبنا من البلاء سببه أسلوب الحياة المعوج الذي نأخذ به أنفسنا ، فلو أن سكان لشبونة كانوا يعيشون عيشة بسيطة خالية من التعقيد والتكلف لما هدمت فوق رءوسهم منازلهم المشيدة الكثيرة الطبقات ، والإنسان البدائي يعيش في الأحراج والغابات ، ولو أنهم فعلوا كذلك لاستطاعوا أن يفروا إلى الحقول وينجوا من هذا الخطر الماحق ، ومن يدري ألا يكون هؤلاء الذين قضوا نحبهم في لشبونة قد تخلصوا من آلام أفدح وشقاء أمر وأقسى » .

والفرق الهام بين روسو وفولتير هو أن فولتير رغم عجزه عن إيجاد دليل على العناية الإلهية في أحوال الدنيا لم يفقد مع ذلك أمله في الحضارة واعتداده بالاستنارة ، ولكنه كان يزدري الجماعات ويراها كالثيران التي تحتاج إلى حمل النير واستعمال السوط والعلف ؛ والحياة في رأيه أضحوكة محزنة ، قد يمكننا الذكاء من فهمها واحتمالها . أما روسو فقد ذهب إلى النقيض ، فقد ظل محافظاً على عقيدته الدينية ، واثقاً بالله ، مكبراً الطبيعة ، متغنياً بجمالها ومفاتنها ، معجباً بالمتوحش الجاهل لبساطته وبراءته ، مرجعاً كل العيوب والنقائص والآفات إلى الحضارة التي وجد فولتير في ظلالها راحة الإنسانية ؛ فروسو على تفاؤله يائس من الحضارة ، وفولتير على تشاؤمه شديد التعلق بالحضارة مؤمل فيها التقدم والسمو ؛ والعجيب أن روسو يحتقر عقل الإنسان ليكبر عمل الله ويمجده ، ولكنه في نفس الوقت يؤثر إنسان الغابات على الإنسان المتحضر ، أي أنه يؤثر وراثتنا الحيوانية على وراثتنا الثقافية الحضارية .

ومن ثم دعوة روسو الناس إلى العودة إلى الطبيعة ، وكتبه المشهورة تتناول هذا الموضوع من زوايا مختلفة ، فكتابه عن العقد الاجتماعي يوضح أن الإنسان قد ولد حراً ، ولكنه في كل مكان يجر سلاسل الأغلال ، وعلاج ذلك هو استرداد حريته الطبيعية بجهد الطاقة ، وكتابه عن ألويز الجديدة نجد فيه الحب الطليق من القيود ، وكتابه المسمى « إميل » يدعو إلى إنماء المواهب الطبيعية عن طريق التربية لتظهر طبيعة الطفل كما خلقها الله .

وأفكار روسو — على ما بها من مبالغات وعيوب — أثرت في التفكير الغربي تأثيراً شديداً ، وتخرج عليه الكثيرون من الكتاب والمفكرين ، وربما كان في طليعة هؤلاء الكاتب الروسي الجبار العظيم ليو تولستوي ؛ ففي سنة ١٨٧٨ أي بعد موت فولتير وروسو بمائة سنة ، كان تولستوي البالغ من العمر خمسين عاماً قد تبرم بالحياة [illegible] الناعمة الراغدة ، وكره الشهرة الأدبية ، [illegible] الفنية ، وأخذ يزدري الحضارة والقيم الثقافية . [illegible] من يظن أن تولستوي قد انتابه هذا التغير فجأة بعد أن كتب آيته الفنية المشهورة رواية « الحرب والسلام » ، فقد كانت مقدمات هذا الاتجاه وبوادره ظاهرة في مؤلفاته وملامح شخصيته ، ولقد بحث تولستوي عن السعادة في الاسترسال مع الأهواء والنزوات والسهر على موائد الميسر والمتعة بين أحضان الطبيعة في البراري والفلوات ، وفي خوض غمرات الحرب وفي الحياة العائلية الهادئة الهانئة وفي الشهرة الأدبية البعيدة المتسامية ، ولكنه لم يجد في ذلك كله ما يروي ظمأه ، وحينما بلغ قمة المجد رأى أمامه الهاوية السحيقة .

وقد كشف لنا تولستوي في اعترافاته عن ذلك الصراع الناشب في نفسه بين الفنان والرجل ، أو بين المؤلف الذي طبقت شهرته الآفاق ، ولكنه مع ذلك يشك في قيمة أعماله لأنه غير واثق من أن الله راضٍ عنها ، بل كان يشك في وجود الله نفسه ، وكان هذا الشك يؤلم نفسه ويفسد عليه

حياته ، وبرغم ما كان عنده من خيل ومال كان يسأل نفسه : « ما معنى ذلك كله ؟ وماذا بعد ذلك ؟ ولماذا يعيش ؟ وهل للحياة معنى ؟ » ولقد أحس بعد هذا التساؤل أنه كان يعيش من أجل لا شيء ، وأنه لا يرى موجباً للحياة . ولقد نظر إلى حياة الرجال المستنيرين من طبقته الارستقراطية فوجدهم لا يعلمون شيئاً عن القيم النهائية للحياة ، فأدار الطرف في حياة الزارعين الجهلة البسطاء ، وأدهشه أنهم برغم ما يعانونه من الفقر والجهل يقنعون بالخبز القفار ويرضون بالقليل ، واستخلص من ذلك أن الحياة لها معنى ، وأن هؤلاء الناس الفقراء المساكين يدركون هذا المعنى ، وينكشف لهم سره ، وتتفتح مغالقه ، وقد أخبروه أنهم يتبعون قانون السيد المسيح ، ويعملون بوصاياه ، فحاول تولستوى أن يجد هذا القانون في الأناجيل ، وقد اعتقد أن في خطبة الجبل الوصايا التي ترشد سيره ، وتخرجه من الحيرة وتنير له السبيل ؛ فالسيد المسيح يدعو الناس إلى التسامح والاعتدال والحب ، وينهى عن الحسد والاغترار بالشهوات واتخاذ المرأة مطية للمتعة ووسيلة للهو والعبث ، وينهى الإنسان عن وضع ضميره الحر تحت تصرف سادة الرجال الأعلياء كما هو الحال في النظام الحزبي ؛ وقد هدم المسيح الحواجز التي تفرق بين الأمم وتفصل بعضها عن البعض ، وأراد إخضاع العلاقات الأممية للقانون الأدبي ، وأوصى الإنسان بأن لا يكتفي بحب جاره ، بل يحب كذلك عدوه وخصمه والقريب منه والبعيد منه ، وأن يشمل حبه الإنسانية كلها ، ثم فوق كل شيء وقبل كل شيء أوصى بالإقلاع عن استعمال العنف ، ومقابلة الشر بمثله ، ونشر قانون الحب وعدم المقاومة .

وقد لاحظ تولستوى أن هذه الوصايا والأوامر والمبادئ التي نادى بها المسيح وأعلنها تخالف ما هو متبع في المجتمع ، بل تناقض الأسس نفسها التي قام عليها المجتمع وأنظمته ؛ وهكذا أفضى نشدان الهدوء الروحي والسكينة الداخلية بتولستوى إلى نقد الحياة الحديثة ومظاهر الحضارة ومقتضياتها .

وأصل الشر في رأى تولستوى هو استغلال الإنسان لأخيه الإنسان ، وهذه الرغبة الملحة في تأكيد النفس وفرض الشخصية وإمتاعها وإعطائها سؤلها في الاقتصاد والسياسة والاجتماع والحياة الثقافية هو اللون الغالب على الحضارة ، ويحمل تولستوى حملة شعواء على الحضارة الحديثة من نواحيها المختلفة ، ويكشف عما بها من زيف وباطل وفساد ، وينقد أدبها وفنونها نقداً لاذعاً نافذاً .

ولكن ما هو الحل لهذا المشكل ، وكيف تعالج الأزمة ؟ وهل يستسلم الناس للقضاء ، أو يلوذون بالصوامع وأحضان الطبيعة على طريقة روسو ، أو يعتصمون باليأس والعجز عن تغيير هذه الأحوال لأنه لا فائدة من هذه المحاولة اليائسة العقيمة ؟ ولقد حاول روسو في اعترافاته أن يلقى التبعة على المجتمع ، وهاجم الحضارة ليسوغ سلوكه ويبرر مواقفه وأعماله ؛ أما تولستوى فكان أنبل وأصرح وأصدق وأعظم ، فقد استطاع أن يواجه نفسه وينقدها ويعلن ما وجده من تناقض بين تفكيره وأساليب حياته ، ويجهد لإزالة هذا التناقض ؛ ومن ثم بدأت معركة رهيبة بينه وبين نفسه ، وبينه وبين أسرته وأقرب الناس إليه ، وبينه وبين الحضارة الغربية كلها ، أي أنه أخذ يحارب قوى الطغيان المتمثلة في عصره ، ويقاوم العنف والكبرياء والشهوة والميل إلى الظلم والاستغلال ، وكان لا يرى بأساً في التضحية بالحضارة من أجل إزالة هذه العيوب والمساوئ .

والعيوب التي يحصيها روسو على الحضارة ، والمساوئ التي يعددها تولستوى جميعها صحيحة ، ولها آثارها السيئة ونتائجها المحزنة ؛ ولكن هل تدل هذه العيوب والمساوئ على أن الحضارة شر ، وأن التقدم الثقافي والتقدم الأخلاقي لا يتفقان ؟ .

لقد تغيرت أحوال العالم بعد وفاة روسو ، ومرت بالدنيا أحداث جليلة بعد موت تولستوى ؛ ولكن سير الحضارة واتجاهاتها في العصر الحاضر واستهدافها لأخطار الحروب الساحقة لا يجعلنا نرفض شكوكهما في الحضارة في يسر وسهولة وثقة واطمئنان .

علي أدهم

أنصــــــاف الآلهة

للأستاذ عبد المنعم اللبجي

مضى على الإنسان حين من الدهر ظل فى حيرة عقلية إزاء ظواهر الطبيعة ، يتملكه الوجل والإشفاق تجاه معضلات الحياة وألغاز الوجود ، كل شىء يصعب فهمه نسبه إلى الآلهة والأرواح ، أو إلى المردة والشياطين . على أنه لم يجمد إلى هـذا التعليل الخرافى فى ميدان الظواهر التى لا قبل له بالتحكم فيها فحسب ، بل إن أى عمل إنسانى بهر المعاصر بجرأته وجدته ، وضخم بإبداعه عواطفه صبغه بصبغة إلهية ، وقد منحه نصف إله فى حياته ثم إلها حقيقيا بعد مماته ، هو ما تدعوه عبقريا بلغة العصور الحالية . وهكذا لم يقنع اليونان القدماء بعبادة آلهة تتسنموا قمة الأولمب الشامخ ، وأخر استوطنوا أعماق المحيط ، وغير هؤلاء ، وأولئك آلهة امتطوا السحب والرياح السارية ؛ إذ بينا هؤلاء فى آفاق علوية ، كان هنالك على الأرض أبطال بهروا الخيال بقوة أو تم أو شعر ، فأنزلوهم منزلة أسمى من ... الأجيال اللاحقة .

وهكذا أحيل القدماء اليونانيون ، وفى مصر أمنحتب الحكيم العبقرى ، وفى فارس زرادشت ، وفى الهند بوذا ، وغير هؤلاء كثير من عباقرة القرون الخالية ، أنطقهم التاريخ أنصاف آلهة ، نسجت حولهم الأساطير ، وقصصت لهم الخوارق . وما كانوا غير بشر يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق . غير أن الخوف يستبد بالإنسان القديم ، وتعوزه الثقة بقدرته على الخلق والإبداع ، حتى إذا تفتق ذهنه الخلاق عن فكر معجز ، أو قدمت يداه عملا مبدعا ، أو تمخضت إرادته عن بطولة رائعة ، استبعد أن تكون هـذه المنتجات العظيمة النابعة فى التفوق منتجاته هو ، إنما هى صنيع قوة خارقة ليس المرء إلا أداة لها ، وهيكلا لوحيها وتأثيرها .

وهذه كلمة « عبقرى » اشتقت من « عبقر » ذلك الوادى الذى تمرح فيه الجن والمردة ، وكلمة genius أصلها gen أى الروح خيراً كان أوخبيثاً ، وشيطانة الشعر ، والعلم الفنى ، وغير ذلك من ألفاظ وتعبيرات تلوكها الألسنة ، إذ هى بصدد الإنتاج البارع الخلاق ، وكلها بقايا التفكير الخرافى القديم ، لا تزال — رغم التقدم العلمى — متشبثة بعقولنا الفكرية ، مفسدة لأحكامنا — أحياناً — من حيث لا ندرى ولا نحتسب .

وكان أول انتصار ظفر به الإنسان ، وأعظمه شأناً ، انتصار الإنسان على الآلهة ، ذلك الانتصار الذى احتفى به « لوكريشيوس » الشاعر اليونانى الأثر بعبارته الساخرة :

« على مرأى من الجميع ، رقدت الحياة الإنسانية على الأرض رقدة العاجز ، وقد أعيتها تكاليف الدين تبدى من أجواز القضاء رأس مخيف ، ينذر بوعيد معلق على رؤوس البشر القانتين ، حينئذ قام الرجل اليونانى — وهو أحد القانتين — فكان أول من تجرأ على أن يرفع عينيه متحدياً » .

صدق لوكريشيوس ، فقد كان الفكر اليونانى الذى أبدع ... أروع الأخيلة وأمتع الأساطير ، هو أول من ... ؛ فهو حين أحرز النصر على الآلهة ، إنما أحرز فى نفس الوقت أروع انتصار على نفسه ، إذ اطرح أسلوب التفكير الخرافى السحرى وأحل محله أسلوب النظر العقلى والمنطق الحر ، وهو إذ فعل ذلك قدم تضحية كبرى ، وكيف لا يكون ثمنه هـذا التضحية وقد تخلى عن العيش فى رحاب الخيال ، وتنازل عن الأسطورة التى تمتع الحس والقلب ، وتسبغ على الناس أجواء الأمانى والأحلام .

تحدى اليونانى « الفانى » الآلهة ، وسخر منها ، ولكنه ظل على ولائه لأنصاف الآلهة ، أعنى العباقرة الذين يمنحون للناس بروائعهم تغذية العقل والقلب والروح ، ويخففون بذلك من غلواء الحياة ويلطفون من جفافها . وأبى الإنسان إلا أن يحتفظ للعبقرية بصفات الغموض القدسى ، فلا يجسر على تحليلها وتأملها تأمل الفاحص المتقصى عن سرها ، إلا حين أسلمت الفلسفة النظرية مكانها للعلم . والعلم سلطان يطامن من كبرياء العقل ، ويحد من غلوائه ، إذ يفرض عليه قيوداً فى البحث لا يتعداها ، تلك قواعد التجريب التى

يبقى الفرد بالعالم المحسوس الذي نعيش فيه ، ونضطرب بين جنباته . أما الغيبيات والمغيبات ، وأما الجواهر والتجريدات ، فأمور لا تعنينا ، وما يعنينا غير ما نرى ونسمع ، ونحس ونلمس ، من ظواهر وأحداث ، ولا ضير علينا إن لم نتجاوز هذه الحدود إلى ما وراء الطبيعة من أسرار قد نمعن في البعد عنها بقدر ما نمعن في تأملها تأملا منطقيا حراً من القيود ، مطلقاً من الحدود .

وعلى ذلك فلنضع « لغز العبقرية » جانباً ، ولا علينا أن نعمق السر الخالق ، والكنه المثير . فأمامنا العباقرة أناس نستطيع دراسة حياتهم وتعرف أحوالهم . وتحت أعيننا وأبصارنا روائع وصفناها بالعبقرية ، نستطيع تذوقها وتفهمها ، فهي لا تستعصي على التحليل شعراً كانت أو صوراً ، أو نغماً ، أو علماً ، أو بطولة . وهكذا رأينا كتاباً أكثر كلفاً بآثار العباقرة من العبقرية في تجردها ! من هؤلاء "J. Segond" الفرنسي الذي كتب كتابه « مشكلة العبقرية » تناول فيه العبقرية بالتحليل الفكري والاستقصاء التاريخي . وأخيراً يطلع علينا "Terman" عالم النفس الأمريكي ببحث ضخم عرض فيه العبقرية من زاوية تتفق مع الاتجاه العلمي الحديث ، اتجاه الدراسة التجريبية والاستقصاء الواقعي ، معرضاً عن المنطقيات النظرية . وأرجو أن ألخص نتائج بحوثه في مقالات قادمة . ويهمني في هذا المقال أن أقرب إلى الأذهان فكرة العبقرية بالحديث عن آثارها فينا ، وتحديد خصائص منتجاتها .

يتميز أي إنتاج نعده عبقرياً بسموه على قدرات الناس سمواً ملحوظاً ، وغرابته بالنسبة إليهم . ولكن غرابة الإنتاج وحدها غير كفيلة أن تسمه بالعبقرية ؛ فمن الأعمال النادرة الغريبة ما لا يستثير غير الازدراء لشذوذه وانحرافه ، ولا يستدعي غير المقت لخلوه من الروح الإنسانية . في حين أن العبقري منها يجتذب قلوبنا لسموه وأصالته ، ويحظى باحترامنا الإنساني . ورغم أن الإنتاج العبقري بعيد عن الناس غاية البعد ، إلا أن هذا البعد لا ينفرهم منه ، بل يزيدهم تعلقاً به وتشبثاً بأهدابه . فما السر في ذلك التناقض الذي يشوب موقفنا منه ؟ .

إن الإنسان لا يعيش في حاضره فحسب ، بل يعيش في نفس الوقت في الماضي ، بذكرياته وعواطفه وتقاليده ، ويعيش في المستقبل ، بآماله ومطامحه وأحلامه . ولذلك نخطئ إن نحن نظرنا إلى الفرد نظرتنا إلى الجسد بأبعاده المحدودة ، فهنالك الخيوط السحرية التي تقيده بالماضي بقيود محكمة ، وتشده إلى عالم المستقبل شداً وثيقاً . ليس الإنسان عبداً للحظة الراهنة ، ولا سجيناً في حيزه الذي لا يتجاوز حدود البدن ، طالما كان بوسعه أن ينطلق على أجنحة الخيال ، يطوف في الآماد والأبعاد ! وطالما كان بمقدوره أن يمتطي بساط الذاكرة السحري ، الذي يحلق به في أجواء الماضي الخالدة ! وطالما كان يمكنه أن يتوغل في ضمير المستقبل ، بفكره الذي يستنتج ويتنبأ بالمآل ! وأخيراً طالما كان يستطيع التغلب على عجزه وقصوره ، فيتحدى الصعاب والعقاب ، ويحقق في عالم الأماني والأحلام ما عز تحقيقه في دنيا الواقع ، وعالم الحدود والقيود .

حين يبدع الشاعر قصيدة رائعة ، وحين يخرج المصور لوحة بارعة ، وحين يأتي القائد عملاً معجزاً ، وحين يكشف العالم عن سر طبيعي ، وحين يخرج النبي رسالة ... يقف الناس أمامهم خشوعاً لما تنطوي عليه هذه الأعمال من سمو وإعجاز ، ورغم هذا السمو والإعجاز ، فهم يستشعرون وشيجة تربطهم بها ، وألفة تصلهم وإياها ؛ ذلك أن كل عمل من هذه الأعمال العبقرية ، إنما هو تحقيق فعلي لمثل أعلى طالما راود الأذهان ، واستكمال واع لنقائص كم ودوا القضاء عليها ، وإبداع لأمور لم تكن غير آمال وأحلام ، فأضحت حقائق واقعة . وهذا ما يجعلني أؤمن أن تذوق الناس لإنتاج عبقري هو لحظة السمو التي تتحقق فيها الحرية الإنسانية : حرية العبقري المنتج ، إذ انطلق من عقال الزمن والحيز ، ليخلق الجمال والكمال ، رغم ما يوثق به من قيود القبح والنقص ؛ وحرية الجموع التي تتذوق هذا الجمال والكمال فتتحرر — ولو إلى حين — من هموم النقائص والشرور ، وتحلم — ساعة من زمان — بالكمال الذي طالما تطلعت إليه دون أن تحققه ! ثم تحقق على يد غيرها ، ورأت نور الحياة بفضل العباقرة .

وذلك يجعلني أخلص إلى نتيجة ثانية ، غير الحرية الإنسانية ، هي أن الإنتاج العبقري رغم سموه وتعاليه ، ليس

صدعاً في كيان المجتمع البشري يفصم بين جموع غافلة وقلة نابهة ؛ إنما هو على العكس من ذلك النقطة التي تتوحد عندها الإنسانية جمعاء . العبقرية في جوهرها أعلاء شمس بين النفوس العاجزة ، الفاضعة — برغم هذا العجز — إلى الحق والخير والجمال ، الجاهدة — برغم الأغلال الثقيلة — في سبيل التحرر والانطلاق الروحي ، وبين العباقرة الذين هم في حقيقة الأمر رسلنا الذين يحققون أحلام الجموع ، ويترجمون مشاعر النفس عما يعجزون من آيات . العبقرية توحد في إنتاجها — فكراً كان أو فناً أو عملاً أو بطولة — بين ما هو كائن من قدراتنا المتواضعة ، وبين ما نحب وما ينبغي أن يكون من آمالنا ومطامحنا . وإن إعجاب الجموع الواعية بمنتجات العبقرية ليكشف عن الرباط المقدس الذي يربط بينها (ملاشياً الفروق المزعومة) في نفس اللحظة التي يستشعرون فيها إعجاباً مشتركاً بعمل واحد .

ألا ترى من بعد ذلك أن القدماء — إذ عبدوا العباقرة — إنما كانوا يعبدون قيم الإنسانية العالية ، وأنهم عندما رفعوهم إلى مرتبة تدنو من مرتبة الآلهة ، إنما كانوا يسجلون بذلك — مدفوعين بشعور ... انتصار الإنسان على القدر الذي حكم عليهم بالعجز والحيرة ، وألزمهم الحدود الضيقة والقواعد الصارمة التي لا تتخطى . كذلك أن الإنسان إذ يبدع ، وأنه إذ يتذوق الإبداع ، إنما يعلن في نفس الوقت تمرده على مأساة العجز ، ويعلن مبدأ يعرف الإنسانية جمعاء ، هو المقاومة . أعني مقاومة استبداد الطبيعة أو الإنسان على حد سواء بجموع الناس . بيد أن العمل العبقري قد يحظى بتقديري ، في حين لا يلقى من إنسان بدري غير الغرور والازدراء . وما ذلك إلا لأن ذلك العمل لم يكن من قبل مثلاً أعلى يتطلع إليه البربري ، ولا كان رغبة تهفو إليها نفسه .

وذلك ما يعلني أعدل عن نظرتي إلى المشكلة نظرة الفيلسوف إليها ، وأحل محلها نظرة الاجتماعي الذي يطمع في تحقيق التآلف بين الناس جميعاً . فأقول إن العباقرة كثيراً ما طحنتهم الجموع الغافلة ، وكثيراً ما استبدوا بدورهم بتلك الجموع . وما هذه الفرقة غير عرض سطحي ما علينا إن أردنا القضاء عليه ، إلا أن نرفع المستوى الثقافي للجموع ؛ فتعلو عقولها فكراً ، وتعلو أذواقها حبا للجمال ، ونمدها بشتى الوسائل — من وقت وعلم ومال — على أن تتجاوز حدود اهتماماتها اليومية التافهة ، وتتطلع إلى آفاق أوسع . حينئذ لن تقلل من قيمة العبقرية ، ولن تمنع العبقري أن يحررها . ثم إن رفع المستوى الثقافي لجموع الناس لن يكون ترقية لهم فحسب ، بل سيكون في نفس الوقت رفعاً لمستوى العبقرية ذاتها . فطالما الإنتاج العبقري كما أسلفنا لا بد أن يتميز بالسمو والغرابة بالنسبة للنابهين من الناس فضلاً عن أوساطهم . فلإن نحن ارتقينا بالنفوس التي تتذوق وتقدر فلن تخدع حينئذ بالتفوق الصادق ، ولن ترفع إلى مصاف العبقرية إلا كل من سجل سمواً حقاً . ويؤيد ذلك أن كثيراً ممن اشتهروا في عصور الضعف الفكري عباقرة ، عجز التقدم أحلامهم من قائمة العباقرة ؛ وكثيراً ممن سخر منهم الأقوام ، ورموهم بالخلط والسفاهة ، فنسبتهم الأجيال اللاحقة وحفظتهم في سلك الخالدين .

العمل العبقري إذاً لا يحظى بتقديس زمنه أو أهله فحسب ، بل وبتقديس الأجيال البعيدة ، والأمداد المترامية ، ذلك أنه تعبير عما يكمن في أعماق النفس البشرية من شعور إنساني مشترك ، يربط بين الناس جميعاً ، أنى كان الزمان وأياً كان المكان .

عبد المنعم المليجي
مدرس علم النفس بمعهد التربية

فلسفة العـــــدم

للأستاذ يحيى هويدي

عبثاً نحاول أن نعرّف الوجود أو العدم تعريفاً صحيحاً . ذلك أن معاني هذه الألفاظ — كما قال ابن سينا في كتاب ما بعد الطبيعة من الشفاء — ترتسم في النفس ارتساماً أولياً ، لا يحتاج معه إلى تعريفها . وقد قال أرسطو أيضاً عن الوجود إنه أكثر الأشياء كلية ، أو إنه أعم الأشياء . ولهذا يستحيل علينا أن نحده . ومع ذلك ، فإننا إذا قلنا إن هذا الشيء موجود ، فإننا نقصد بذلك أن نثبت صفة إيجابية له ، نستطيع معها أن نخلع عليه صفات إيجابية أخرى . وعلى العكس من ذلك ، فإن العدم يفيد النفي . وهذا ما يشهد به الفرنسيون أنفسهم . « عَدِمَ » الشيء ، عدماً بمعنى فقده ، والعدم أو العُدْم لديهم هو الفقر . إذاً ، فالوجود شيء ، والعدم ليس بشيء . الوجود إثبات والعدم نفي . الوجود إيجاب والعدم سلب . هذا ما يشهد به الجميع . ولكن الفلاسفة — [illegible] دائماً — أخذوا يتشككون في معنى العدم ليكشفوا عن معنى جديد غير المعنى الذي تواضع الناس عليه . ووصلوا إلى أن العدم لا يكون نفياً وسلباً دائماً ، لأنه يحتوي على نوع من الإيجاب والإثبات والوجود ، مع ما في ذلك من تناقض ظاهري . وهاك البيان :

فقد فرق شلنج بين نوعين من السكون : بين السكون الذي هو موات وسلب لكل شيء ، وبين السكون الذي ينتج من تصارع قوتين متضادتين متساويتين . فإذا خضع جسم ما لتأثيرين متساويين في اتجاهين متضادين ، فإنه لن يتحرك . ولكن حالة السكون التي يكون عليها هذا الجسم تختلف عن حالة السكون التي يكون عليها جسم آخر لم يخضع لأي تأثير . فالسكون الأول نتيجة اصطراع قوى وتأثيرات متساوية ، أما السكون الثاني فهو عدم وسلب لكل حركة . السكون الأول سكون يسبق العاصفة ، إذ قد تتغلب في إبانه قوة على قوة ، فيتحرك الجسم . أما السكون الثاني فلا ينذر بشيء .

وبعبارة أخرى ، نستطيع أن نقول إن السكون الأول وجود ، والثاني عدم ، مع أن مظهر الاثنين هو العدم المطلق ، وهو انتفاء لكل حركة . ومعنى ذلك أن السكون أو العدم الأول يحتوي على الوجود في باطنه ، أي أن السكون أو العدم الأول ليس انتفاء تاماً للحركة ، بل هو عبارة عن حركة كامنة . وهكذا استطعنا أن نجد معنى إيجابياً للسكون أو العدم .

ولكن أحداً لم يستطع أن يتعمق معنى العدم ويرفعه إلى قمة الدور الذي يلعبه في الوجود مثلما فعل الفلاسفة الوجوديون ، وعلى رأسهم هيدجر وجان بول سارتر . ولا بد لنا من مثال أو مثالين — نعرضهما لتقريب الفكرة إلى الأذهان — قبل أن نعرض لبعض آراء هذين الفيلسوفين في العدم .

فإذا أردت مثلاً أن تتخيل شيئاً معيناً بالذات ، فما الذي تفعله ؟ عليك أن تلغي من أمامك صورة العالم الواقعي بما فيه من أشياء واقعية ، وبما فيه من الصور الواقعية لهذا الشيء . ثم عليك بعد أن تلغي هذه الصورة المركبة أن تستحضر أمامك الصورة المتخيلة . ومعنى ذلك ، أنه لكي تستحضر أمامك في الخيال صورة واضحة المعالم لشيء ما ، عليك أن تسقط من حسابك صور الأشياء الأخرى التي تكون مرتبطة به ، بل عليك أن تسقط من حسابك صورة العالم أجمع . وبعبارة أخرى : عليك أن تعدم العالم لكي تظفر بصورة واضحة المعالم لهذا الشيء المتخيل . ومعنى ذلك ، أن تخيل شيء معين لا بد أن يسبقه عملية « إعدام néantisation » لجميع الأشياء الأخرى . وهذا معناه أن العدم أو الإعدام أصبح عنصراً مقوماً للوجود ، ولو أن هذا الوجود ليس إلا وجوداً متخيلاً فحسب .

ودعنا من الخيال لنلتقي بحالة واقعية . فإذا فرضنا أنك

دخلت قهوة عامة لتبحث فيها عن صديق ضرب لك موعداً في مكان معين منها (وهذا المثال ضربه لنا سارتر في كتابه «الوجود والعدم»). فماذا يحدث؟ إن القهوة كلها بما فيها من كراسي وموائد وأنوار وروّاد ومشروبات وأصوات، كل ذلك يتلاشى أمام ناظريك، وتتجه بذهنك إلى المكان الذي اعتدت أن تقابل فيه هذا الصديق. أعني أنك تقيم عملية «إعدام» تلغي فيها وجود القهوة بكل ما فيها خلا هذا الركن الذي اعتاد صديقك أن يجلس فيه. ومعنى ذلك أن العدم أو الإعدام يدخل هنا في تكوين الوجود، بل ويكون سابقاً عليه أيضاً. أي أنك لكي تجد (من الوجود) صديقك لابد أن يسبق ذلك إعدام (من العدم) أو قضاء على كل من وما في القهوة، وإسقاطه من الشعور. وإذا فرضنا أنك عندما اتجهت إلى الركن الذي اعتاد صديقك أن يجلس فيه، ولم تجده. فما الذي يحدث؟ إنك تعود فتنظر إلى الأشخاص والأشياء التي ألغيت وجودها من قبل، وتتراءى لك هذه الأشخاص والأشياء في تلك اللحظة على أنها تعود إلى الوجود من جديد. فإذا لم تجد فيها من تنشده عدت فألغيت وجودها وأسقطتها من حسابك مرة أخرى. وفي كل هذا: يدخل العدم أو الإعدام مقوّماً من مقوّمات الوجود.

ولنترك بعد ذلك الأمثلة جانباً لنعرض لبعض ما قاله هيدجر وسارتر في العدم.

يقول هيدجر: إن هناك نوعين من الوجود: وجود في ذاته Das Seinde ووجود لذاته Dasein. أما الوجود الأول فيقصد به وجود الشيء الجامد الصلب الثابت الذي يظل على حالة واحدة لا تتغير. أما الوجود لذاته فهو وجود الإنسان المتغير الذي لا يستقر على حال ربما ينتقل إلى أخرى، هو في المساء غيره في الصباح، وهو قادر على إلغاء حالته الأولى ليحل محلها حالة جديدة. وهو من أجل ذلك، يحتوي في ذاته على عنصر العدم لأن تغيره هذا معناه إعدام حالة أو القضاء عليها ليستبدل بها حالة أخرى. وحينما أقول: «أنا موجود»، فإن وجودي هذا يختلف دون شك عن وجود الجبل الذي لا يريم أمامي مثلا. فما هو مصدر الاختلاف بين الوجودين؟ إن الوجود الأول يحتوي على عنصر العدم، أما الوجود الثاني فخلو منه. وهكذا أصبح الوجود في أعلى درجاته (وهو وجود الإنسان) هو ذلك الذي ينطوي على العدم. ومعنى ذلك أن العدم أصبح له معنى إيجابي، وأصبح مقوّماً حقيقياً من مقوّمات الوجود؛ لا بل مقوّماً لأرقى أنواع الوجود.

وواضح أن وجود الإنسان وجود في ذاته ولذاته معاً. أي أنه ذو طبيعة مزدوجة: فهو هذا الإنسان المتغير الذي لا يستقر والذي يعدم حالة من حالاته ليعيش في حالة أخرى، وهو من ناحية أخرى ذلك الجسم الجامد المادي. وجسم الإنسان، على الرغم من أنه يظل دائماً غريباً عنه إذ أنه يحسه كشيء غريب عنه والطريقة عينها التي يحس بها على أي جسم آخر مثل شجرة أو تمثال، إلا أنه مع ذلك يؤثر فيه وفي شعوره. ومن أجل ذلك قال سارتر عن الإنسان: إنه ذو طبيعة «لزجة» «Visqueux» فهو من ناحية «جامد» و«صلب» ويمثل ذلك فيه جسمه المادي، وهو من ناحية أخرى مرن و«مائع» أي متقلب. ويمثل ذلك فيه قدرته الإعدامية، ووجوده لذاته. وهو يتذبذب دائماً بين هذين القطبين. وصفته المميزة دائماً هي «اللزوجة» «La viscosité» التي تجعله مائعاً لكونه مرناً متقلباً من ناحية، وكونه جامداً صلباً لا يتغير من ناحية أخرى.

وقد أدى هذا التصوير الطريف لوجود الإنسان بسارتر إلى إعادة النظر في حقيقة من أهم الحقائق الفلسفية، وهي حقيقة الكوجيتو الديكارتية التي تقول: «أنا أفكر فأنا إذاً موجود». فما هو المقصود من الوجود هنا؟ هل المقصود به تيار وجودي كله، مشتملاً على وجودي السابق والحاضر والمستقبل؟ ومعنى ذلك أني سأكون قادراً بمجرد تفكيري على أن أضع يدي على كل لحظات وجودي؟ كلا. إن سارتر ينكر هذا إنكاراً تاماً. ويقرر أن الوجود هنا لا يعني إلا وجود اللحظة الحاضرة فحسب، أي الوجود الحاضر المؤقت ليس إلا. فعندما أقول: «أنا إذاً موجود» كنتيجة لتفكيري في شيء ما، فإني لن أفهم من ذلك: «أني كنت موجوداً قبل ذلك» ولكني سأفهم من وراء ذلك «أني موجود فعلاً الآن فقط»، بل وسيتضمن فهمي

وجودى الحالى إلغاء أو إعدامٌ وجودى الماضى أو السابق . أى أن العبارة « أنا إذاً موجود » ستتضمن كذلك اعترافاً ضمنياً الإعدامية على إلغاء وجودى الماضى . ومعنى ذلك ، أن الوجود الذى سأفطن إليه هنا بعد تفكيرى هو « الوجود الآنى » أى الوجود الإعدامى للغير المتقلب . وليس أدل على ذلك ، أى ليس أدل على أن الوجود فى العبارة الديكارتية الشهيرة لا يفيد إلا الوجود الحاضر الوقوت متضمناً فى ذلك إلغاء أو « إعدام » الوجود السابق من أن « إروسترات Erostrate » وهو بطل القاتل فى رواية « الحائط » لسارتر بعد أن قتل ضحيته ، كان بوسعه أن يهرب من البوليس المطارده أو أن ينتحر . ولكنه لم يفعل ؛ وذلك لأنه « فكر » فكانت نتيجة هذا التفكير أنه فطن إلى وجوده الحاضر فقط . أما وجوده السابق ، وجوده الذى لم يعش عليه إلا لحظات ، وجوده باعتباره قاتلاً لم يعش فى تلك ضحيته إلا دقائق معدودات ، فقد أعدمه وأسقطه من حسابه ، وصور نفسه مجرماً آخر له وجوده الحاضر الذى يمتد بآمال واسعة إلى مستقبل مشرق ، ولكنه لم يتصور فيه وجوده الماضى أبداً وهكذا أصبح العدم مقوماً للوجود فى أهم حقيقة فلسفية ، وهى حقيقة الكوجيتو الديكارتية .

• • •

أما موقف الإنسان من الأشياء الخارجية المحيطة به ، فيصوره لنا سارتر فيما يلى : فهذه الأشياء الموجودة فى منزلى الريفى قائمة هناك لا تريم ، تستقبلنى فيه كلما مررت به مرة فى العام : هذه الساعة ، وهذا الموقد ، وهذه الأرائك ، لم يتغير فيها من السنين . وأسرح الطرف من النافذة فأرى الجبال والغابات لا تحرك ساكناً ، ولا يبدو عليها أنها تحفل بوجودى ؛ فهى قائمة هناك من غير أن يكون لوجودى تأثير عليها . وأحاول أن أفهم عن وجود هذه الأشياء الخارجية شيئاً ، ولكنى أخفق . ومن ثم يستولى علىّ شعور بالحصر النفسى أو الضيق L'angoisse . وسارتر هنا يتأثر كيركجرد الذى كان أبرع من حلل هذا الشعور عند الإنسان — ثم أحاول بعد ذلك أن أنفى هذه الأشياء التى من حولى ، أى أن أعدم وجودها إعداماً ، طالما تغايرنى ولا أمل لى فى أن أفهم من ماهيتها شيئاً . ومن ثم ، أتجه بتفكيرى إلى إلغائها . وفى أثناء هذا كله ، أشعر بأن وجود هذه الأشياء الخارجية يثير فىّ نوعاً من القرف ، بل ويخلف عندى شعوراً بالقئ La nausée (وهذا عنوان لأحد كتب سارتر) . وهذا تعبير قوى قد لا يوافق عليه الذوق العام ويشمئزُّ منه . وما أكثر تعبيرات سارتر التى لا يوافقه عليها الذوق ؛ بل وحتى تلك التى لا تتمشى مع الأخلاق ! ولكنه يصور على كل حال هذا اليأس الذى يملك على الإنسان حسه وكيانه وشعوره كله عندما يجد نفسه محاطاً بأشياء كثيرة لا يجرى منها شيئاً ، وعبر بصره سريعاً على هذه الأشياء جميعها فلا يكاد يعى منها شيئاً ، اللهم إلا أنها قائمة هناك ، وعلى الرغم منه ، وسواء أراد أم لم يُرد .

• • •

وقد شغف سارتر بالعدم وآراه من نفسه المكان الأول ، حين جعل منه أو من الخلاء le vide — وهو عكس الملاء le plein — مساوياً للحرية . فالأشياء قائمة فى الخارج ، جامدة ، صلبة ، و « ملاء » فى « ملاء » ، ليس بين وجودها وجودنا الأنا أو الشعور ، وهو الخلاء المطلق الذى لا يحتوى على شىء ، وليست لديه معرفة بالأشياء الخارجية ، ولا حتى بجسمه المادى الذى يتقمصه . ومن أجل ذلك ، فإن بطل رواية « التأجيل » Le Sursis — ونستطيع أن نترجمها أيضاً « فى مفترق الطرق » — ينظر إلى الأشياء وإلى يديه فيروعه مقدار ما يفصله عن العالم بأسره ! ومع ذلك فإنه يستنتج من عزلته تلك عن العالم كله أنه حر ، « كل شىء قائم فى الخارج ... أما فى باطنى ، فليس هناك من شىء ، ولا أثر لشىء . بل قل إنه ليس هناك باطن على الإطلاق . وليس ثمة شىء . والأنا هو لا شىء . ومع ذلك ، فأنا حر ... لستُ شيئاً ، ولست مستحوذاً على شىء . فأنا متقيد بالعالم مرتبط به ارتباط الشمس والضوء به ! ومع ذلك ، فأنا « مُبْتعد » عنه ، كضوء الشمس الذى يتسرب إلى الأحجار والماء ، وينساب من تحتها دون أن يعلق به شىء ، أو ينشب فيه شىء ... وأنا حر مع ذلك . والحرية هى النفى الذى كتب علىّ به أن أكون حراً » .



ولا شك أن سارتر هنا قد قال بمعنى جديد للحرية . فمن المعروف في علم الأخلاق أن الحرية هي قدرة الشخص على التأثير في الظروف الخارجية وإخضاعها له . أما الحرية عند سارتر فليست تتعلق مطلقاً بموقف الشخص من العالم الخارجي أو من الظروف المحيطة به ، بل تتعلق بموقف الإنسان من نفسه ومن حياته الباطنة . فالإنسان الحر عند سارتر هو ذلك الذي يستطيع أن يعزل نفسه عن العالم ، ويعيش في عالمه الباطني ؛ هو ذلك الذي يستطيع أن يلغي العالم الأكبر ليعيش في العالم الأصغر وحده . ولكن حياته في عالمه الباطني لن تكون حياة على وتيرة واحدة ؛ وإلا لما كان حراً أبداً ، بل ستكون حياة متجددة « الأحوال » متدفقة التيارات . ويكون فيها الإنسان مستغلاً « قدرته الإعدامية » إلى أقصى حد . ولكن كل ذلك سيكون بينه وبين نفسه . ومن أجل ذلك ، فالقضاء على الحريات بالمعنى العادي المألوف لهذه الكلمة ، وعزل الإنسان عن كل ما في العالم الخارجي ، يتيح له — في رأي سارتر — أن يحيا في باطنه حياة متجددة غنية إعدامية متقلبة . وهذا كله يجعل منه إنساناً حراً [illegible] نظر سارتر إلى فترة الاحتلال الألماني لفرنسا عقب دخول الألمان فيها ، باعتبارها الفترة التي أتاحت للفرنسيين قدراً من الحرية لم يُتح لهم من قبل ، لأنها هي الفترة التي لم يسمح فيها للفرنسيين بأي نوع من الاتصال الخارجي ؛ ومن ثم عكفوا على ذواتهم يغيرون من أحوالها في كل آن ما شاء الله لهم أن يغيروا فيها ، ويعدمون اليوم ما رضوا عنه بالأمس . وتلك هي الحرية عند سارتر . وهكذا استطعنا أن نظفر بمعنى جديد للحرية كان الفضل في العثور عليه هي تلك « القدرة الإعدامية » التي اكتشفناها في الإنسان ، وهي تتمثل هنا في إعدام الأشياء والظروف الخارجية كلها حتى يخلو الشخص إلى نفسه وينطوي على ذاته بكليته ، حتى إذا ما تم له ذلك غيّر من أحواله الذاتية وبدّل ، وأصبحت حياته الباطنية بذلك سلسلة من أعمال الهدم والبناء ، والولادة والإعدام .

* * *

وقد سيطرت فكرة العدم على سارتر في القصة ومنهجه فيها أيضاً . فالروائيون عند سارتر طائفتان : فمنهم من يكتفي بعرض تاريخي لحياة بطله ، تأخذ فيه الحوادث بعضها برقاب بعض ، ويكتفي فيه المؤلف بعرض « الماضي » من حياة بطله . بيد أن هذا الماضي لن يكون حياً بحال من الأحوال ، بل سيكون جامداً مقفلاً لا حياة فيه . ولن يختلف عن الوجود في ذاته الذي سبق أن أشرنا إليه . وقد رأينا أنه وجود لا يمثل الوجود الحقيقي الحي المتغير الإعدامي في الإنسان . ومنهم من يتخذ موقفاً آخر جديراً بالاعتبار حقاً في نظر سارتر ؛ فهم يصورون من الإنسان « الوجود لذاته » الكامن فيه ، وجوهره التقلب الإعدامي الذي لا يخضع للترتيب المنطقي ولا يدين بالتسلسل العقلي . وهم لا يسردون « ماضي » البطل كما يفعل أفراد الطائفة الأولى ، بل يصورون حاضره ؛ والمقصود هنا بالحاضر لا حاضره الآلي ، بل حاضره الروحي الحي ، المخصب الذي يجيء دائماً بمشروعات المستقبل ، وفي ذلك فهؤلاء الروائيون يصورون الحاضر والمستقبل معاً ، لأن الحاضر لا يكون موجوداً إلا إذا كان مشدوداً إلى المستقبل . ومن أجل ذلك فإن المحكوم عليه بالإعدام في رواية « الحائط » لسارتر يرى نفسه في الليلة السابقة على الحكم بالإعدام عليه أنه ميت فعلاً . وذلك لأن مستقبله قد قُضي عليه وأصبح مقفلاً . فالحاضر المخصب النابض الذي ينتقل بسرعة من حالة إلى حالة أخرى ، ويعدم في طريقه حالات ليواجه حالات جديدة أخرى ، ويكون مبشراً في ذلك كله بمشروعات المستقبل — هذا الحاضر هو الذي يصوره لنا سارتر في قصصه ورواياته .

* * *

هل من شك بعد ذلك في أن العدم أصبح مقوماً حقيقياً من مقومات الوجود ؟ إن كنت ما زلت في شك من هذا ، فعليك أيها القارئ بكتب سارتر ورواياته ، فاقرأها لتقتنع إن لم يكن قد أقنعك عرضي الخاطف لبعض آراء هذا الفيلسوف .

يحيى هويدى

رؤية الله فى مذهب المعتزلة

الدكتور البير نصرى نادر

تجرد المعتزلة فكرة الله تعالى من كل عنصر مادى أو من كل ما يؤدى إلى وصفه تعالى بأى صفة من صفات المادة مهما كانت ضعيفة ، لأن المعتزلة كانوا يفخرون بأنهم المدافعون عن التوحيد الحقيق المطلق . ولما كانت هذه هى فكرتهم فى الله فيكون من الطبيعى أن يردوا مسألة رؤية الله إذا كانت هذه الرؤية حسية ، ولكن إذا نظر إليها كأنها رؤية من نوع آخر يختلف تماماً عن الرؤية الحسية ، فالمعتزلة لا تمانع فى بحث المسألة من هذه الناحية .

الله لا يرى بالأبصار :

أجمعت المعتزلة على أن الله لا يمكن أن يرى بالأبصار فى دار القرار(١) لأنهم يقولون إن البصر لا يدرك إلا الألوان والأشكال أعنى ما هو مادى ؛ والله ذات غير مادية ، فمن المستحيل إذاً أن يقع عليه البصر . لذلك يقول أبو الهذيل وأكثر المعتزلة : إننا نرى الله بقلوبنا ، بمعنى أننا نعلمه بها(٢) وهذا لا يعنى أننا نعلمه علماً حقيقياً كاملاً شاملاً ، لأن الشخص لا يمكن أن يدرك اللامتناهى — ونحن نعلم أن فكرة الله عند المعتزلة هى عبارة عن نفى كل صفة من صفات المخلوقات عنه تعالى — هذا ما أدى بهشام الفوطى وعباد بن سليمان المعتزليين إلى إنكار رؤية الله حتى ولو بالقلوب ؛ بمعنى أن هذه الرؤية هى إدراكنا له أو علمنا به . فمثل هذا الإدراك أو مثل هذا العلم غير ممكن لنا لما يوجد من فارق بين طبيعة المخلوق وطبيعة الخالق . إذا كان العلم حسب قول أبى الهذيل هو مجرد شعور داخلى بوجوده تعالى ، فهذا ما يتفق عليه جميع المعتزلة . أما إذا كان هذا العلم علماً حقيقياً لماهيته تعالى ومشاهدة مباشرة لهذه الماهية فهذا ما ينكره جميع المعتزلة حتى أبو الهذيل . وهذا ما يتفق وتعريفهم لله حين يقولون إنه لا توجد أى مشابهة بين ذاته اللامتناهية وماهية المخلوقات أجمع المتناهية .

استحالة رؤية الجواهر :

لجأ المعتزلة إلى ما بين الأعراض والجواهر من فرق ليعززوا قولهم بنفى رؤية الله بالأبصار — يقولون إن الجوهر المجرد لا يمكن رؤيته بالأبصار ، لأن الألوان والأشكال فقط يمكنها أن تؤثر على عضو البصر وتسبب فيه الرؤية . والألوان والأشكال أعراض ، فإذاً بصرنا لا يدرك إلا الأعراض ، ولا يمكنه أن يدرك الجواهر المجردة عن كل جسم — بل الله لا يوجد أى عرض . وهو تعالى ذات بسيطة مجردة ، فكيف إذاً يمكن القول إنه يمكننا أن ندركه [illegible] ولذلك يكون الكلام فى إمكان رؤية الله كلاماً [illegible] وجود أعراض فى الله ، وهذا محال [illegible] الله تعالى(١) .

تكفيرهم لمن يقول برؤية الله :

لما كان هذا هو قول المعتزلة فى استحالة رؤية الله ، ولما كانت هذه هى حجتهم فى ذلك فمن الطبيعى إذاً أن يدافعوا بشدة عن هـذا الاعتقاد وهو فى مذهبهم ركن من أركان التوحيد كما يفهمونه . لذلك كانوا يكفرون كل من خالفهم فى هذا القول ، لأن القول برؤيته تعالى هدم لتنزيه وتشويه لفكرة الله وتشبيه له بخلقه ، وهذا كفر . لذلك لم يترددوا فى تكفير من قال بهـذا القول ، وكلام أبى عيسى المردار المعتزلى صريح وواضح فى هذا الصدد ، ويعبر أيضاً عن رأى المعتزلة أجمع حيث يقول : إن من قال إن الله يرى بالأبصار على أى وجه قال ، فمشبه لله بخلقه ، والمشبه كافر بالله ، والشاك فى قول المشبه كافر بالله أيضاً ، لأنه شاك فى الله لا يدرى أمشبه هو لخلقه أم ليس بمشبه لهم ، وكذلك الشاك فى الشاك

---

(١) ابن حزم : الفصل جـ ٣ ص ٢ — الشهرستانى : الملل والنحل على هامش ابن حزم جـ ١ ص ٨٢ و ٨٣ — نهاية الإقدام ص ٣٥٦ — الأشعرى : مقالات الإسلاميين ص ١٥٧ . البغدادى : مختصر الفرق المختلفة ص ٢١٩ .

(٢) الأشعرى : مقالات ص ١٥٧ .

(١) الشهرستانى : نهاية الإقدام ص ٣٦٠ .

أبداً(١) . — والرؤية حسب قول المعتزلة هي المقابلة أو اتصال شعاع بصر الرائي بالمرئي(٢) . وذلك لا يجوز إلا لما هو مادي أو متصل بالمادة . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ما يترتب على القول بالرؤية :

قدم المعتزلة البرهان الآتي لرد قول مثبتي الرؤية . فتقول إن البصر حاسة حس من حواسنا الخمس ، وإذا سلمنا بأن الله يمكن رؤيته فيستنتج ضمناً من هذا القول كونه تعالى مسموعاً مشموماً مطعوماً ملموساً . وذلك شرك عظيم(٣) وكأن هذه صفاته لم يعد يختلف عن الأشياء المادية المحسوسة . وشتان ما بين هذا القول وفكرة الله عند المعتزلة من الفرق الشاسع . فإذا نظرت المشبهة والرافضة إلى إلهها نظرة مادية يترتب عليها رؤيته بالأبصار ، فإن المعتزلة كانت مجتهدة في رد هذا الرأي الخاطئ وفي إظهار كل ما يترتب عليه من نتائج منافية لكماله تعالى .

هل يرى الله خلقه ؟ :

بعد ما نفت المعتزلة رؤية الله وقدمت البرهان على ذلك جاءت مسألة أخرى تتعلق بالأولى . وهي عكس السؤال الأول ، أعني : هل يرى الله خلقه ؟ وما معنى رؤيته خلقه ؟ الجواب عن هذا السؤال يستخلص من فكرة الله عند المعتزلة . فهو تعالى منزه عن كل مادة . ويؤولون وصفه بالسميع البصير على معنى أنه عليم بالمسموعات التي يسمعها غيره والمرئيات التي يراها غيره . لذلك يقول الكعبي بوضوح إن الله لا يرى نفسه ولا غيره إلا على معنى علمه بنفسه وبغيره . والنظام يقول : إن الله لا يرى شيئاً على الحقيقة(٤) ، فقط هو تعالى « بكل شيء عليم » . نجد إذاً أن كل آراء المعتزلة متماسكة تماسكاً وثيقاً ، ويبدو كبنيان

(١) الخياط : كتاب الانتصار ص ٦٨ — الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٧٠ — البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٥٢ — الأسفراييني : التبصير في الدين ص ٤٧ .
(٢) البغدادي ، الفرق بين الفرق ص ١٥٢ .
(٣) الشهرستاني ، نهاية الإقدام ص ٣٦٦ .
(٤) البغدادي ، الفرق بين الفرق ص ٢٦٦ .

وطيد الأساس شيد على العقل . إنهم يقولون بالتنزيه وبكمال الله . نفوا عنه تعالى كل ما يتعلق بالمادة ، وعلى ضوء هذه المبادئ شرحوا وأولوا كل ما يمكن أن يؤدي إلى الاعتقاد بالتشبيه شرحاً وتأويلاً داخلين في نطاق التنزيه والتوحيد كما فهموه .

معنى قول أحمد بن حابط برؤية الله :

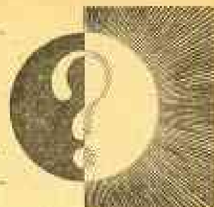
بينما ينفي جميع المعتزلة رؤية الله بالأبصار نجد أحمد بن حابط وفضل الحدثي وهما من أصحاب النظام المعتزلي يذكران الحديث التالي : « إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته » على رؤية العقل الأول الذي هو أول مبدع ، وهو العقل الفعال الذي منه تفيض الصور على الموجودات . فهل يعني هذا الحديث أننا سنرى فعلاً الله ؟ كلا . والحديث يستمر قائلاً : إن هذا العقل الفعال هو أول ما خلق الله فقال له تعالى أقبل فأقبل ، ثم قال له تعالى أدبر فأدبر . فقال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحسن منك ، بك أعز ، وبك أعطي ، وبك أمنع . فهو الذي يظهر يوم القيامة وترتفع الحجب بينه وبين الصور التي فاضت منه ، فيرونه كمثل القمر ليلة البدر . فأما واهب العقل فلا يرى البتة . فيكون هناك نوع من الرؤية ولو أنها ليست رؤية الله تعالى الخالق ، بل رؤية هذا العقل الأول الذي خلقه . إن الصور التي هي تميز الكائنات المخلوقة أجمع فاضت منه ، وإن حجاباً يحجب هذا العقل الأول عن هذه الصور الفائضة منه . فلما يرتفع هذا الحجاب تصبح حينئذ رؤيته ممكنة ، وهو الكائن الوحيد الذي له علاقة مباشرة بالمخلوقات وهي تفيض منه .

مصدر هذا القول :

يقول أفلوطين(٢) : إن في قمة الوجود الواحد أو الأول

(١) الشهرستاني ، الملل والنحل ج ١ ص ٧٠ .
(٢) أفلوطين (٢٠٥ — ٢٧٠ م) جاء من ليقوبوليس (أسيوط) إلى الإسكندرية حوالي ٢٣٢ ولازم فيلسوفها الوثني أمونيوس ساكاس إحدى عشرة سنة ثم أراد أن يقف على الأفكار الفارسية والهندية فرحل إلى سوريا والعراق ، ثم قصد إلى روما سنة ٢٤٠ وأقام بها حتى مماته (أنظر كتاب تاريخ الفلسفة اليونانية للأستاذ يوسف كرم) .

(البقية على صفحة ١٩)



كيف

استغلال قوى الطبيعة

للأستاذ محمد فتحي عبد الوهاب

تقدم العلم فاستطاع أن يسخر من قوى الطبيعة ما استفادت به الحياة البشرية وارتفعت من طريقه المدنية . وليس هناك من شك في أن الهواء والماء والنار والفحم والبترول والكهرباء ، كل هذه قد أدت إلى ازدهار صرح الحضارة ، وأوصلت الإنسان قدماً إلى طريق التقدم والرقي ، بل أصبحت من أهم عماد الحياة في يومنا هذا .

بيد أن الطبيعة وهبت قواها دون ما عدل أو مساواة فمنحت بلاداً أرضاً غنية بالفحم ، وحابت البعض الآخر بتربة تجري من تحتها أنهار من البترول ، ووهبت البعض الآخر مساقط مياه قوية ، ثم تركت ثمة بلاداً فقيرة بجوارها .

ولذلك ما فتئ العلم يبحث وينقب لعله يجد في الطبيعة من جديد القوى ما يسد نقص تلك البلاد .

القوة من البحار الاستوائية :

منذ خمسة وعشرين عاماً حاول مهندسان فرنسيان استنباط القوة بطريقة جديدة من الطبيعة . وكان مناط بحثهما أن درجة حرارة الماء على سطح البحر في المنطقة الاستوائية أعلى بدرجة ملحوظة من درجة حرارة الماء في القاع ، أو تحت عمق معين . فإذا أمكن رفع ماء القاع في سهولة حتى يصل إلى السطح ، فمن المستطاع الحصول على كميات وافرة من الماء في درجات متغايرة الحرارة وفي اتصال مستمر ، بعضها بالبعض الآخر . ومن الجلي أن الطاقة الحرارية لسطح الماء تميل إلى الاندفاع صوب الماء البارد المقبل من القاع .

فهل في الإمكان تدبير انتقال الطاقة الحرارية من الماء الدافئ إلى الماء البارد فيعترضها أي نوع من الآلات لاستغلالها ؟

وقد يكون ذلك ممكناً نظرياً ؛ فإنه من المعروف أن الحرارة تمر من الأجسام الساخنة إلى الأجسام الباردة ، ولكن هل يتأتى ذلك عملياً ؟ . وهل الآلة التي تعترض انتقال الطاقة الحرارية قادرة على تأدية عملها في استغلال هذه الطاقة بطريقة عملية ؟

لنسأل أولاً : ماذا تعني درجة الحرارة ؟ درجة الحرارة هي مقياس درجة اضطراب أو اهتزاز جزيئات الجسم . فالجزيئات في درجة ٨٠ مئوية أكثر اضطراباً منها في درجة ٢٠ . أي أنه كلما ارتفعت حرارة الجسم ، زادت جزيئاته اهتزازاً ، وازداد دفع بعضها البعض . وهذا الاندفاع يولد ضغطاً يزداد بازدياد الحرارة . ويسمى هذا الضغط في حالة الماء « ضغط البخار » ، وهو يختلف باختلاف درجة الحرارة . فمثلاً ضغط البخار في درجة ٢٠ مئوية يقدر بحوالي ½ رطل على البوصة المربعة ، وفي درجة ٨٠ ما يقرب من ٧½ رطل على البوصة المربعة . فإذا ما أدخل ماء في درجة

٢٠ فى وعاء مفرغ من الهواء ، فإن البعض منه يتبخر إلى أن يصير الضغط فى الوعاء مقداره ½ رطل على البوصة المربعة ، ثم لا يتبخر الماء بعد ذلك . وإذا ما أدخل ماء فى درجة ١٠٠ ، فإن البعض منه يتبخر حتى يصل الضغط إلى ١٥ رطلاً على البوصة المربعة ، أى الضغط الجوى . وهذا هو سبب غليان الماء فى هذه الدرجة من الحرارة ، فإن جزيئات الماء يدفع بعضها البعض بضغط يعادل ١٥ رطلاً على البوصة الواحدة ، فتندفع الجزيئات فى الهواء أو تتبخر كما يقال . والماء فى درجة ٢٠٠ يتبخر عند إدخاله فى الوعاء حتى يصل ضغطه إلى ٢٢٥ رطلاً للبوصة الواحدة المربعة ، أى أن أحواله تكون مشابهة لتلك التى بالغلاية البخارية .

لنفرض إذاً ، أننا استطعنا إدخال سطح ماء البحار الاستوائية التى فى درجة حرارة ٣٠ فى وعاء مفرغ من الهواء ، فسيتبخر الماء حتى يصير الضغط فى الوعاء رطلاً واحداً على البوصة المربعة . فإذا ما أدخل ماء البحر القادم من الأعماق — وتبلغ درجة حرارته ٥ أو أقل — فى وعاء آخر ، يتبخر حتى يصل ضغطه إلى [illegible] البوصة المربعة .

السؤال الآن : ما الذى يحدث إذا ما أوصلنا الوعاءين بأنبوبة ؟ إن بخار الماء سيندفع فى الحال من الوعاء ذى الضغط العالى إلى الوعاء ذى الضغط المنخفض ، فإذا ما اعترض مسار البخار تربين قائم بالأنبوبة ، فإنه سيتحرك باندفاع البخار ، ومن ثم يستطاع توليد الكهرباء .

وقد أجريت تجارب على أنموذج من هذا القبيل بفرنسا ، وكان الماء الساخن فى درجة حرارة ٣٣ ، والبارد فى درجة ٨ و ١٢ ، فكانت سرعة لفات التربين ٥٦٠٠ لفة فى الدقيقة ، وأدار بذلك مولداً كهربائياً أنتج ٤٩٫٥ كيلووات (قوة ٨٠ حصاناً) من الكهرباء ، احتيج منها إلى ١٨ كيلووات فحسب لتوصيل الماء إلى الوعاءين .

وقد كان مقرراً إنشاء محطة كهربائية من هذا النوع فى خليج المكسيك ، نظراً لأن سطح الماء هنالك ذو درجة مرتفعة من الحرارة ، بينما الماء تحت عمق ٣٠٠٠ قدم لا تزيد حرارته عن درجة الصفر المئوى ، بيد أنه قامت عقبات فى سبيل الإنشاء ؛ منها صعوبة إنزال أنبوبة إلى هذا المدى من العمق ، كما وجد من المتعذر امتصاص الماء البارد العميق إلى سطح البحر . ثم هنالك مشكلة إبقاء الأنبوبة دائماً فى نظافة تامة ، فإنها لا تسلم مطلقاً من دخول بعض الأسماك فيها ، فتندفع إلى التربين وتتلفه . ولا يجدى وضع مرشحات للأنبوبة ، فسرعان ما تسدها الطحالب .

ولو أمكن وضع هذا المشروع فى حيز التنفيذ ، فإن ذلك يؤدى فى الحال إلى عمران البلاد التى تنفذ فيها هذا المشروع ورخائها ، وازدهار الصناعة فيها .

استغلال البخار البركانى :

كان أول من فكر فى استغلال الحرارة البركانية الأمير جينورى كونتى الإيطالى ، وكان من نتيجة أبحاثه أن أنشئت محطة كهربائية قوية بمقاطعة لاندرالو بتوسكانى ، تنتفع بالبخار البركانى الصادر من الينابيع المتفجرة بالمقاطعة .

بدأ الاهتمام بالينابيع الحارة عام ١٨١٨ عندما أمكن الحصول على بعض البوراسيك منها ، وذلك بالقرب من كاستلنوفو وساسو ومونتيروتوندو وبعض المواقع بالقرب من فولترا . وكان هذا الحامض يخرج عن طريق الأبخرة المتصاعدة من فوهات الينابيع . وحتى عام ١٩٠٤ لم تتم محاولات للانتفاع بهذه الأبخرة فى أى جهاز آلى لإنتاج القوى الميكانيكية .

ثم استعمل البخار بادئ ذى بدء فى بعض محطات القوى بطريقة غير مباشرة ، فكان يستعمل فى تسخين الماء التى تزود الآلات بالبخار ، حيث إن الغازات الموجودة فى البخار البركانى كالإيدروجين المكبرت تساعد على تكوين صدأ الأجزاء المعدنية للآلات ، إذا ما استعمل البخار البركانى مباشرة .

وفى عام ١٩١٤ أقيمت ثلاثة تربينات قوة كل واحد منها ٣٣٠٠ حصان بناحية لاندرالو ، وذلك لتحريك مولدات كهربائية . وكان الفرق الرئيسى بين هذه التربينات وغيرها

أنها تستعمل البخار البركانى كوقود لقاطراتها بدلا من الفحم والبترول .

ثم قام إيطالى يدعى رتشيى باختراع آلة ترشيح قادرة على إزالة الغازات الضارة الموجودة بالبخار البركانى ، حتى يمكن استعماله مباشرة بالتربينات دون أن تصدأ أجزاؤها المعدنية . وأمكن بذلك الإقلال من نفقات الغلايات ، وزيادة مقدرتها على العمل .

وقد نتج من ذلك ، أن استطاعت التربينات وقوتها ٣٣٠٠٠ حصان — التى تدار بالبخار البركانى التى — أن تولد تياراً كهربائياً متقطعاً قوته ٤٠٠٠ فولت ، جزء منه يتحول إلى ١٦٠٠٠ فولت يغذى مقاطعة توسكانا ، والباقى يتحول إلى ٣٣٫٠٠٠ و ٣٩٫٠٠٠ فولت يغذى وسط إيطاليا .

وقد تفجرت ينابيع جديدة ذات فوهات كبيرة العمق والاتساع بالقرب من كاستلنوفو وسراراتو ، يحصل منها على كميات هائلة من البخار ذى الضغط العالى . وهو ضغط يبشر بتقدم مطرد فى توليد الكهرباء .

هذا الاستغلال المثمر قد وجه الأنظار إلى احتمال استعمال بخار البراكين فى كافة البقاع البركانية فيها .

مستقبل الطاقة الذرية :

بيد أن كل هذه الوسائل ومثيلاتها لا تعد شيئاً إذا ما قورنت باستغلال الطاقة الذرية . ولو استطاع العلماء تعميم استغلال هذه الطاقة لمنفعة البشر — لا لدمار الإنسانية كما يفعلون — لكان ذلك بداية عصر جديد وعهد لا مثيل له ، عهد نعمى من المدنية والحضارة . بيد أنه مع الأسف لا يزال استغلال هذه الطاقة موجها فى طريق الحرب والدمار .

ولعل إيطاليا بتوجيه هذه القوة الجبارة لمنفعة الإنسان ، يتغلب على تشاؤمنا منها باعتبارها وسيلة لدمار العالم وإبادة الحرث والنسل ، وبذلك تبدأ صفحة زاهرة جديدة من تاريخ نهضة البشر .

محمد فخرى عبد الوهاب

رؤية الله فى مذهب المعتزلة

(بقية المنشور على صفحة ١٦)

وهو جوهر بسيط كامل . والكامل هو الفياض . وفيضه يحدث شيئاً غيره ، فهو مبدأ الوجود ؛ والشىء الحادث عنه عقل شبيه به يفيض بدوره فيحدث صورة منه هى « النفس » ، وتفيض النفس فتصدر عنها نفوس الكواكب ونفوس البشر والأجسام . فإن المادة آخر مراتب الوجود وأصل الشر فيه . واتصال النفس الإنسانية بالجسم أصل شقائها وشرورها ، فيجب أن تكون غايتها الخلاص منه والعودة إلى الأول الواحد .

ولكن يظهر أن ابن حابط لم يتأثر فقط بفلسفة أفلوطين ، بل بالمسيحية أيضاً ، إذ يقول إن المسيح تدرع جسداً ، وكان قبل التدرع عقلا[1] ، وإنه هو الذى خلق العالم ، وهو المحاسب للناس يوم القيامة والتجلى لهم[2] ،

[illegible] وجاء ربك والملك صفاً صفاً » وهو [illegible][1] .

هذا الحق [illegible] وصل إليه بعض المعتزلة المتطرفين أمثال أحمد بن حابط وفضل الحدثى فى القول بالرؤية ، ولكن المعتزلة تبرأت منهما فيما بعد[2] . وحتى هؤلاء المتطرفون لم يقولوا بجواز رؤية الله متفقين بذلك مع سائر المعتزلة . فقط هم يقولون برؤية العقل الأول الذى هو أصل وجود العالم والذى هو أول ما خلق الله أو أول ما فاض منه تعالى ، بينما المعتزلة لا تقول بكائن أوسط بين الله والعالم ، زاعمين أن الله وهب العالم الوجود مباشرة . فقط ماهية الله تختلف تماماً عن ماهية العالم ، لذلك لا يمكن لأى كائن مخلوق أن يدركها . وكان من جراء هذا الأصل الأساسى فى مذهبهم أن نفوا نفياً باتاً رؤية الله وأن كفروا كل من قال بهذه الرؤية على أى وجه قال بها .

(بغداد) البير نصرى نادر

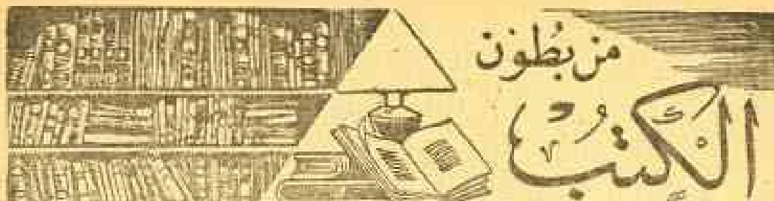
---

(١) البغدادى ، الفرق بين الفرق ص ٢٦٠ .

(٢) الخياط ، كتاب الانتصار ص ١٤٨ .

(١) سورة الفجر ٨٩ الآية ٢٢ .

(٢) الخياط ، كتاب الانتصار ص ١٤٨ .



رئيسك أرجل خير هو أم رجل سوء

هذا المقال هو خلاصة دراسات قام بها السكالب في السنين الست الماضية. وهو رئيس شعبة العلاقات الإنسانية، التابعة لجامعة مدينة نيويورك. وقد دون السكالب ملاحظاته بعد تقصي حالات موظفي أربعين مؤسسة.

ترجمة الأستاذ مبارك إبراهيم

قال السكالب:

أعرف رجلاً يظن أنه الرئيس الأمثل بين الرؤساء، وأنه عادل في حكمه غير جائر.

وهو يجلس إلى مكتبه كل أسبوع ويخرج من أدراجه كتيباً صغيراً أسود، ثم يفتحه ويدون فيه أسماء موظفيه وعماله ما يعن له من ملاحظات وآراء.

وهو بعمله هذا يظن أنه يجعل مرؤوسيه دائمي اليقظة. ولكن الواقع أن هذا العمل يجعلهم دائمي القلق، ويعوقهم عن إتقان العمل، وقد كانوا إذا تحدثوا عن رئيسهم هذا نعتوه بالجاسوس لا الرئيس.

وأعرف رئيساً تختلف طريقته عن طريقة زميله السابق، فقد ارتقى من بين «الصفوف» إذ كان أول أمره عاملاً، فظن أن الرئاسة المثلى تقوم على «التودد» فكان كل مساء يشارب العمال ويؤاكلهم ليريهم أنه ما زال زميلاً طيباً.

وكان إذا بدا من أحدهم نقص أو إهمال في عمله أو مخالفة لقوانين المصنع لم يزد على أن يغمز بجانبه. فإذا أصبح توقيع الجزاء حتماً مقضياً أسر القول لمرؤوسيه بأن هذا الجزاء لم يكن عن أمره، إنما هو أمر صدر من كبار الرؤساء في الطابق الأعلى.

من أجل ذلك كله كان لزاماً أن ينقل هذا الرئيس من عمله، وأن يزاح من منصبه. فقد هبط إنتاج المصنع، وليس هذا فقط، بل إن عماله لم يكونوا ليوقروه.

ولا أحسبني أغالي إذا قررت أن آلاف الرؤساء، الذين تحدثت إليهم قد حرموا من الاستفادة من جهود عمالهم. وقد يرجع السبب في هذا إلى أن غالبية الرؤساء تنتخب في العادة من بين الفنيين أو من بين الذين طال عهدهم بالوظائف، دون التفكير في هل هم قادرون على أن يسوسوا العمال وأن يوجهوا إليهم.

وقد أثبتت التجارب العديدة التي أجريت على أن العمال يضاعفون عملهم ويزيد إنتاجهم إذا تولى أمرهم رجل رشيد.

وقد أجرى جماعة من الخبراء الباحثين تجربة في مصنع تعددت أقسامه، وتشابهت أعماله، وتساوى عدد عماله، واختلفت صفات رؤسائه؛ وذلك بأن عمدوا إلى المقارنة بين أحسن الأقسام إنتاجاً وبين أسوئها، فثبت لهم أن في القسم الأحسن كان كل واحد من عماله يمدح رئيسه ويثني عليه، بينما في القسم الأسوأ لم يثن على الرئيس إلا ٣٦ ٪.

وإني لأقرر أن الرئاسة المثلى والرئاسة السيئة إنما مرجعها إلى صفات أكبر رئيس في العمل. فقد صادف مرة واحد من هؤلاء، وقد أقلقه وأهمه نقص الإنتاج، وطلب

إلى أن أرسم الخطط لرؤساء أقسام مصلحة . وبعد بحث دام بضعة أيام تحققت أن الرئيس الأكبر هو المشكلة الكبرى ولا مشكلة سواه ! فقد كان من عادته أن يصدر أوامره ثم لا يتبعها بكلمة ، كما كان من عادته أن يبت في كل أمر دون مشورة . كما كان من عادته أيضاً أن يسب الشمس والقمر كلما أخطأ عظيء أو هنا .

وما راعني إلا أن جاءني يوماً وهو يقول في سرعة البرق الخاطف : هل جاءك أن قد أستطيع الآن أن أمشي على بعض سمتك ! فقلت لنفسي : إن قول هذا الرجل لحق ، والحق أنه قد غير من أساليبه ، في صدق وإخلاص ، وأنه سرعان ما جاء بمقترحات دقيقة محكمة ، وسرعان ما أفاض على مرؤوسيه فيوضاً من الثقة كما أتقنوا عملاً .

ومن العيوب التي تؤخذ على الرئيس أن يبيح لنفسه الدخول في جدال ومحاجة مع مرؤوسيه ؛ فهو إن فعل ذلك فقد كشف عن عجزه وضعفه . ذلك أنه من المستحيل استحالة تامة أن تُلزم إنساناً الحجة وأن يقبل هو منك طواعية واختياراً .

والذي تجادله إنما هو مشغول بالدفاع عن نفسه فهو لا ينصت لقولك مهما أطلت وأطنبت .

ونجاح الرئيس في البرهنة على أنه كان محقاً وأن مرؤوسه كان مخطئاً إنما هو نجاح خير منه الإخفاق . ذلك لأنه يكون بذلك قد خسر واحداً من المعجبين به ، القائلين به على الخير .

ومن أخطاء الرئيس غير الكيس إجراؤه التغيير والتبديل بين مرؤوسيه قبل أن يمهد لهذا التغيير والتبديل ، وقبل أن يُعد مرؤوسيه لما يراد بهم ، وقبل أن يبرهن لهم على ضرورة هذه النقلة .

والرئيس الرشيد هو من يجني من عمل مرؤوسيه أطيب الثمرات ، وذلك بأن يبث فيهم ما يحد من كبريائهم ، وأن يجري في معاملتهم على أنهم أشخاص ذوو قدر وقيمة ، وأن يجعلهم يحسون أن بذل أقصى الجهد سوف يعود على المؤسسة بالخير والنفع ، وهذا هو لب القيادة الحسنة وروحها .

والطريقة الأخرى هي — بالطبع — أن يسوق المرؤوسين سوقاً ، وكثير من الرؤساء يلجأون إلى هذه الطريقة ، وهي إغراء يُوسوس به في صدور الرؤساء الذين يعرفون أنهم أصحاب حول وطول .

ولا شك أن المرؤوسين يقابلون هذه السياقة بأن لا يعملوا عملاً إلا ذلك القدر الذي ينأى بهم عن موجبات العقاب . وهم لا شك سوف يولون الأدبار في أول فرصة تتاح لهم .

وأشد الناس غلظة وفظاظة يحن — في قرارة نفسه — إلى شيء من الاعتراف الصادق بكفاءته وبراعته .

والرئيس الرشيد قادر على أن يجد في أقل مرؤوسيه كفاءة شيئاً يستأهل الحمد ويستحق الثناء .

والرئيس الرشيد يعرف أن في استطاعته أن يحصل على نتائج باهرة بالثناء على مرؤوسه حتى قبل أن يبدأ ذلك المرؤوس عمله . كأن يقول له مثلاً : يا فلان إنك واحد من الأدلة القائمة على أن عندنا رجالاً أكفاء . فهل لك أن تدلنا على طريقة في ترتيب أضابيرنا ومكاتبنا تجد فسحة في المكان تساعد على تيسير الانتقال بين صفوف المكاتب . أو يقول له : أنعم هذا النحو يا فلان ! وفلان هذا يعد أعماله هذا الشهر لا بد باذل أقصى الجهد ...

والناس يقبلون دائماً على الدخول في مباريات ما دامت لا تلازمها الشقة ! وقد تستطيع أنت أن تصور لنفسك أنك واحد من الرسامين في مؤسسة لتصميم المباني قد كثر العمل فيها وتراكم . فإذا قال لك رئيسك : إن عليك أن تبقى ثلاث ليال لتفرغ من عملك هذا ، فإنك لابد نادب سوء حظك .

ولكن هبه قال لك : يا فلان إن عندنا عملاً هاماً علينا أن ننجزه قبل ظهور يوم الخميس ، وإني تارك هذا الأمر لك ، تتصرف فيه كيف تشاء ، فهل أنت ناظر في هذا الأمر نظرتك ؟.

فما إن تسمع أنت هذا القول حتى تقبل — إن كنت رجلاً رشيداً — على العمل إقبال الغيور المتحمس . لا يهدأ بالك حتى تنجز العمل في دقة وإتقان .

وخير امتحان لقدرة الرئيس الرشيد هي الطريقة التي يستقبل بها أولئك القادمين على العمل الجديد .

والطريقة التقليدية عند الرؤساء من أصحاب الطريقة القديمة هي أن ينظر الواحد منهم إلى مرؤوسه ثم يصعد

النظر فيه وصوبه ، ثم يقول له : ها هو العمل الذى سوف يوكل إليك . فأرنى مدى قدرتك على القيام به . ثم ينظر إليه نظرة الصقر للطائر الصغير . ثم لا يجد بعد ذلك لذة إلا فى تتبع سقطاته وغلطاته .

وعلى العكس من ذلك نجد الرئيس الرشيد ، فهو يعرف ما يجيش به صدر كل مقبل على عمل جديد من هم وكرب . ولذلك فإن الرئيس يلقى صاحبنا لقاء ترحيب . ثم يأخذ بيده ويطوف به المكاتب والمصانع ، ويشرح له أنواع العمل وطبقاته حتى أنه بين أهله وإخوانه .

وهو يشجع كل ناحية تقرب من الصواب فى كل عمل يعمله ذلك المقبل الجديد . وإذا أخطأ صحح له خطأه بطريقة تحفظ عليه ماء وجهه . كأن يقول له مثلاً : أظننى لم أشرح لك هذا من قبل . أو : إن كثيراً من الناس يعملون هذا العمل بهذه الطريقة أول أمرهم ، ولكنهم يعرفون فيما بعد أنها طريقة خاطئة ...

وأشد ما يمقت فى نفوس العاملين هو الطريق الذى يسلكه بعض المتملقين من الرؤساء ، فهو يترك الحبل على الغارب لأشخاص من العمال من الرئيس [illegible] ويرقون فى أرجاء المصنع أو المكتب .

وإنه لشىء غريزى فى طباع بنى آدم أن يحنوا على من أوتى الذكاء من عمالهم أو على من تربطهم به صلة من قرابة أو جوار .

ولكنى رأيت هذه العادة سيئة فى خلق الشكوى . ذلك لأن الذين لا تشملهم دائرة تلك الصلة أو وشيجة تلك القرابة ، يحسون فى قرارة أنفسهم بالقلق وفتور الهمة . وهم — وقد امتلأت نفوسهم بالمقت والكراهة — خليقون أن يقولوا عن صاحب الحظوة لدى الرئيس : إنه يعرف من أين تؤكل الكتف ...

وكلما سمعت رجالاً أو نساء يبالغون فى مدح رئيسهم ويحمدون على وصفه بالرجل العظيم الذى يسعدهم أن يعملوا تحت رئاسته ، أحاول دائماً اكتناه سر هذا المديح ، ذلك لأن مثل هذا الرئيس هو من القلة النادرة .

وهناك أجوبة مختلفة للرد على هذا السؤال ، ولكنها تجتمع كلها فى جواب واحد وهو : إن الولاء يولد الولاء ، وإن الوفاء ينتج الوفاء .

والرئيس الرشيد يعرف معرفة مؤكدة أن الناس كلهم أسارى الولاء وحسن التقدير ، وهو يعرف أيضاً أن بعض الحوافز هى أكبر جدوى وأكثر نفعاً عند بعض القوم دون الآخرين ، وهو من أجل ذلك يحاول أن يعرف تمييز من بين مرؤوسيه هو فى حاجة أكثر من سواه إلى المديح أو الطمأنينة أو الترقية أو المال .

وإنه لمن القلة النادرة ذلك الرجل الذى يعمل من أجل المال وحده . وإنه لمن الخطأ كذلك أن تقول إن كل رجل يعمل من أجل الترقية وحدها .

أما عن النساء العاملات فإن الرئيس الرشيد يعرف أن النساء اللاتى أمضين فى العمل حقبة من الدهر ، هن أكثر مطالبة بما يرينه حقاً لهن من امتيازات بسبب طول الخدمة .

وقيادة العاملات من النساء تحتاج إلى مقدار من المهارة واللباقة أكثر مما تحتاجه قيادة زملائهن من الرجال .

ولكن الرئيس الرشيد يوقن دونه فى هذه الناحية أكثر [illegible] يكونون رجالاً .

والرؤساء من أصحاب الطريقة القديمة سوف يؤكدون لك أن كل هذه المحاولات التى تقوم على إرضاء الناس إلى المرؤوسين واتباع طرق المداورة معهم ، إنما هى مخاطرة لها عواقبها الخطيرة .

وهم يقولون لك : ربت كتف واحد من مرؤوسيك اليوم ، وهو لا شك شاربك غداً ، وهو لا بد مطالبك بزيادة فى الأجر بعد غد .

وليس الأمر كما يظن صاحبنا الرئيس من أصحاب الطريقة القديمة ، فإن مرؤوسى اليوم هم أناس واعيون ، يعرفون أن الرئيس فى عصرنا هذا تقيده قواعد الإدارة وتحد من حريته أصول الاستخدام .

والرؤساء المثاليون فى نظر مترجم المقال هم الذين لا يبخسون الناس أشياءهم .

(ولا يعزون عن حسن إنسانى

ولا يعزون عن غلطة بليغ)

(عن الإنجليزية) بابك إبراهيم

الندوة العمرية في الموصل

للأستاذ رمضان أحمد البكر

في العراق اليوم نهضة أدبية مباركة ، وقد ولدت هذه النهضة ، أو بدأت هذه الحركة ، مع زوال الحرب العالمية الأخيرة ، فقد كانت الحرب الكونية المضرمة أهم عامل من عوامل بعث هذه الحركة في العراق ، وذلك بما جرت على البشرية من كوارث ، وما رمت الحضارة والمدنية من خطط واتجاهات ...

فما إن وضعت هذه الحرب أوزارها ، إلا وظهرت في العراق نهضة أدبية ذات ثلاثة ألوان ، أو حركة ذات ثلاثة اتجاهات ، أو بيئة ذات ثلاث مدارس ، ولكل من هذه المدارس آراء يعمل القائمون عليها لبسطها ، وخطط يجري أساتذتها لرسمها وعرضها ...

* * *

المدرسة الأولى :

تؤمن هذه المدرسة بالعلم التجريبي ، هذا العلم الذي هو طابع العالم الغربي ، وبما يحقق من الكهرباء والذرة والهيدروجين ، وما يكتشفه هذا العلم من معارف وآفاق ، وتعمل جاهدة لنقل العراق من آسيا إلى أوربة بدون قيد أو شرط ، وتحث الناس على استمراء كل جديد باعتباره نتاج عقول نيرة ، والإيمان بالعقل باعتباره إلهاً لا شريك له ، وباعتباره القوة القادرة على اكتشاف قوانين الطبيعة ، والسيطرة على البيئة وتنظيمها تنظيماً رائعاً بحيث تتكامل المتعة والسعادة ، وترفع البشرية إلى مستوى الإنسان الأعلى ، باجتياز نفس المرحلة التي اجتازها الإنسان عندما وضع زميله « الغوريلا » وراءه كما يقول الأستاذ سلامه موسى ...

وشعار هذه المدرسة الكفر بكل قديم ، والإنكار الماضي بعصوره الذهبية ، وتحدي كل فكرة لها صلة ما بالعاطفة والقلب ، وأنه إذا كان في الفلسفة المثالية — الإغريقية منها والإسلامية — ما يستحق الذكر ، أو يوجب الالتفات إليه ، فعلى اعتبار أنها مرحلة من مراحل التقدم التي أوجدته الطبيعة ، واكتشفها العقل ، ولا ينبغي لمواكب الحضارة والمدنية — وهي التي وجدت لتسير دائماً إلى الأمام — أن تلتفت إلى الوراء ، أو تشمئز ، في عهد الطفولة والمشيب ، أو ينتقص من معجزات الشباب ...

المدرسة الثانية :

هذه المدرسة معاكس للمدرسة الأولى تماماً ، فهي تؤمن بظلم الحكام ، وفساد الحكم ، على أنه قضاء الله وقدره ، وأن ليس على ظهر هذا الكوكب « الأرض » بل وحتى في بقية الكواكب والأفلاك سوى حكم الجبر ، وليس هناك شيء يدعى الاختيار ، وكثيراً ما يتردد على ألسنتهم قول الشاعر الوجودي القديم :

الحكم حكم الجبر والاضطرار
ما ثم حكم يقتضيه الاختيار
لو فكر الناظر فيه رأى
بأنه المختار عن اضطرار
لا تعتب العالم في كل ما
يكون فيه من غنى وافتقار
جرت وجار الأمر في حيرتي
فليلزم العالم دار القرار

ألا ترى القـاضى فى حكمه

يقتفى الشرع ، فأين الخيار ؟

ولا يكادون يجدون فى الجديد سوى الفساد ، وعزوف عن الله ، وتحد لأحكامه وتعاليم رسله ، ويدع توجب المقت والسخط ، وتجلب الويل والشقاء ، ولا يجدون شيئاً يجب الاعتداد به سوى الماضى ، ولا أمراً يجب الاعتزاز به سوى عصور ذلك الماضى الذهبية ، وكثيراً ما يتردد على لسان هذه المدرسة :

وكل أرض قد وطئنا صـعيدها

غدون رياضاً زاهيات زهورها

وأبتن إحساناً وعدلاً وحكمة

وعلماً وفضلاً زاخرات بحورها

إلى آخر ما فى مثل هذه الكلمات من تمن وتفاخر ، وما تحتويه من سحر وروعة ، وزهو وخيلاء ...

*

المدرسة الثالثة :

هذه المدرسة تعرف فى العراق الأصيل الحلو العريق فى الموصل ، ويتزعمها الأستاذ إبراهيم الواعظ ، رئيس الوحدة العملية فى الموصل ، وهى تخالف المدرسة الأولى فى كثير من الآراء والخطط ، وتخالف المدرسة الثانية فى الميل والاتجاه والتفكير ؛ فهى تجد فى العلم التجريبى علماً له روعته وجلاله ، غير أنه علم ينقصه الدين ، والعلم الذى ينقصه الدين ، ويتحكم فيه أناس لم عقول ، وينقصهم القلب والعاطفة ، ينتج الكهرباء فالذرة والهيدروجين ، ويصنع نوعاً من الحضارة والمدنية عرفتها الإنسانية فى هيروشيما وناكزاكى فى الحرب الكونية الأخيرة ...

ويرون فى المدنية الغربية ، تلك التى تزخر بها أوربا وأمريكا الآن ، حضارة لها ما لها من السمو والرفعة ، غير أنها حضارة ومدنية تنقصها الأخلاق والمروءة ، وهما صفتان عرفت بهما الإنسانية منذ فجر التاريخ ، والمدنية التى ينقصها الأخلاق والمروءة ، ويبشر بها أناس تنقصهم المثالية ، توحى المطامع الاستعمارية ، وتعمل على إشاعة فكرة الاستعباد ، وتجعل الأرض المأهول ساحات سباق للمباراة الاقتصادية ، وتهيئ الإمكانيات اللازمة للسابقة فى مضمار التسلح ، وتمهد لإشعال نيران الحروب والثورات ، كتلك التى نجدها واضحة فى أطلال أوربا التى تنعق فيها الغربان ، وممرات البلقان ، وسهول آسيا وأفريقيا ...

وذلك الذى تنقله لنا الأنباء اللاسلكية ، من أخبار مؤتمرات الغرف المغلقة فى الشرق والغرب ، وما يتمثل أمامنا من خطط وحركات مريبة ، أقل ما يقال فيها : أنها أعمال تهدف إلى زوال الحضارة والمدنية ، ومحو البشرية من سطح الأرض ...

وترى فى المدرسة الثانية جموداً واتكالاً وبلاة ، وأعمالاً تدعو إلى التخلف عن ركب الحضارة والمدنية التى لا تعرف التلكؤ ولا الوقوف ، وتهدف إلى إماتة الناس موتاً بطيئاً ، وأن يحيوا بحياة ذليلة ، لا يملكون فيها إلا التفاخر بالماضى ، وأملاً شبيهاً بالحياة الأخرى ، كما يقول الدكتور أحمد أمين بك .

وتعتقد المدرسة الثالثة ، بأن الجمود فى المدرسة الثانية ، ومصدر هذه الكوارث نفر من أدعياء التقوى وأدعياء العلم ؛ فهؤلاء النفر من أشباه العلماء ، كانوا لا يملكون سوى النفاق ، واتخذوه أداة للتقرب من حكام التاريخ المستبدين ، وأرادوا أن يستغلوا فساد الحكم السائد ، فلم يروا بداً من تزهيد الناس فى طيبات الحياة ، وصرفهم عن الدنيا وما فيها من خيرات ، وأن يمنوا الناس بحياة أخرى ، وجنات فيها نعيم مقيم ، وأفهموهم بأن هذه الدار وما فيها من خيرات ، هى لمن زهد فى هـذه الدنيا ، وترفع عن خيراتها ، وعزف عن كل ما فيها من مغريات ، وأن هـذه الدنيا هى الجسر الموصل إلى الأخرى ، حيث دار القرار ، والخير العميم ، وأن مما روج دعوى هؤلاء النفر ، كون هذه الدعوى هى فى صالح الحاكم

المستبد ، تعينه على إصلاح الفاسد ، وتمكنه من الإبقاء على الصالح ...

وأن من يضرب على هذه الوتيرة من علماء الدين المعاصرين ، فإنه لا يملك العيون التي تحدق إلى النور ، ولا يقوى على رفع رأسه والنظر إلى المستقبل ، ولا يقدر على الاستمتاع بطيبات هذه الدار التي أنعم الله بها على عباده ، وأن يقرأ هذا حاضر ، وهذه خلفاؤهم ، وفي عصر مثل عصرنا هذا ، لا بد وأنهم مستعدون لملاقاة اليوم الذي يحدون فيه أنفسهم وقد واجهوا : مدافع تواجه أحلاماً ، وقوى مسلحة تلاقي أوهاماً ...

يرى أساتذة المدرسة الثالثة والندوة العصرية في الموصل ، وعلى رأسها زعيمها إبراهيم بك الواعظ ، اقتباس الحضارة الغربية ، ولكن كما اقتبسها المسلمون الأولون من الفرس والروم ، وارتشاف العلوم الجديدة ، ولكن مثلما ارتشفها الأوائل من الإغريق والهند والصين ، أي علينا أن نرتشف ونقتبس ارتشاف واقتباس المعتز بدينه ، المعتد بنفسه ، الفخور بقدرته وعبقريته ، وأن نؤمن بأننا ورثنا من نبينا صلى الله عليه وسلم ، قوى روحية لا يجلبها العلم الغربي ، أو تفقدها الحرب على الأقل ...

وقد دفع إلى المطابع زعيم هذه المدرسة « الواعظ » عدة كتب ، لاقت رواجاً كبيراً في العراق ، مما يدل على أن هذه المدرسة ، أو هذا الأستاذ ، شخص الداء ، ووصف الدواء ، وأول هذه الكتب وخيرها مدرسة محمد بجزأين وقد نفد المطبوع خلال شهر من صدوره ، وقد اختار المؤلف لهذين الكتابين مادة من التاريخ ، وعرضها عرضاً رائعاً فيه الاعتزاز بالماضي المجيد ، والنظرة النافذة إلى المستقبل ، قوامها الأمل والثقة والاعتداد ... فقد اختار لمطبوعه رجالاً من العرب والمسلمين ، حملوا مشعل الحضارة والمدنية ، وأناروا سبل الهداية والسعادة في مشارق الأرض ومغاربها ، وعمموا العلم والفضل والعدل بين الناس ، وطهروا البشرية من أدران الوثنية والشرك ، وغرسوا في قلوبها بذور الرجولة والمروءة والإحسان ، ونبه القراء إلى تلك الصرخات التي يتردد صداها عبر التاريخ ، لافتاً أنظارهم إلى موضع منار المجد الإسلامي المهتدي ...

فقد تطرق إلى سيرة أبطال مثل : علي بن أبي طالب ، وأبي ذر الغفاري ، وعمر بن الخطاب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن عبادة ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وغيرهم ، واستخرج من سيرتهم وسجاياهم ما يجعل المرء يعتز بعصوره الذهبية ، اعتزازاً يبعث فيه القوة التي تمكنه من النظر إلى المستقبل بثقة ، وتحبب له مواكبة ركب الحضارة والمدنية ، والسير معه إلى الأمام ...

وتعتقد هذه المدرسة بأن الأزمة العراقية الحالية ، هي جزء من أزمة عالمية قد اكتنفت العالم ، وتغلغلت فيه ، وأن هذه الأزمة هي في صميمها أزمة أخلاقية ، وهكذا ، فالعالم أصيب بأخلاقه ، وأطبقت عليه الآفة الخلقية ، وجعلته لا يدري على أي أرض يقف ، وفي أي اتجاه يسير ...

وليس هناك طريق للإصلاح سوى تقويم الأخلاق ، ولا سبيل إلى تقويم الأخلاق إلا بارتشاف الأفاويق الدينية ، وهي كما قال شاعر العراق المرحوم الرصافي :

أرى مستقبل الأيام أولى
بمطمح من يحاول أن يسودا
فما بلغ المقاصد غير ساع
يردد في غد نظراً سديدا
فوجّه وجه عزمك نحو آت
ولا تلفت إلى الماضين جيدا
وهل إن كان حاضرنا شقياً
نسود بكون ماضينا سعيدا
وشر العالمين ذوو خمول
إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا
وخير الناس ذو حسب قديم
أقام لنفسه حسباً جديدا

(موصل — عراق) رمضان أحمد البكر



آكل اللوتس

للكاتب الإنجليزي الكبير سمرست موم

ترجمة الأديب حسين أحمد أمين

يحيى الناس حياتهم كما تمليها عليهم الظروف.. لا يحاولون أن يغيروا فيها أو يسلكوا طريقاً غير الطريق الذي سار عليه من سبقهم.. إنهم يشبهون أشد الشبه عربات الترام التي تسير دائماً على نفس القضبان.. ذهاباً وإياباً.. ذهاباً وإياباً.. حتى تصبح الآلات [illegible]..

وقلما تجد رجلاً استطاع أن ينحرف عن هذا الطريق ليتصرف في حياته كما يريد وفق طبيعته غير متقيد بالتقاليد السائدة..

فإذا وجدنا رجلاً من هذا النوع لكان من الواجب علينا أن نتمهل ونستقصي بإمعان حاله..

لذلك كانت رغبتي شديدة في مقابلة توماس ويلسن.. فقد سمعت أنه قام بعمل جرئ، ومغامرة خطرة جعلتني أشتاق إلى رؤيته لأجلس إليه وأستمع لقصته يرويها هو بنفسه..

وقد أتيحت لي هذه الفرصة عندما كنت أزور كابري. لقد كنت — ذات مساء — أجلس مع صديق لي في شرفة داره، فأدار صديقي نظره إلى جموع الراقصين من الفلاحين وقال:

— انظر.. ها هو ويلسن.

— أين؟

— ذلك الرجل ذو القميص الأزرق..

— ألا تستطيع أن تدعوه إلى تناول كأس معنا؟

— حسناً.. سأدعوه..

وغاب صديقي بضع دقائق، ثم عاد برفقة ويلسن، وقدمني [illegible] أديب، ولكن دون اهتمام.. وقال الصديق:

— ألا تأتي معنا فنتناول كأساً؟

فأجاب ويلسن: لقد كنت على وشك الانصراف لتناول العشاء..

— ألا يستطيع العشاء أن ينتظر؟

— بلى..

وابتسم ابتسامة جذابة..

كان يبدو عليه الطيبة والرقة، وكان يرتدي قميصاً أزرق من القطن وسروالاً رمادياً قذراً من القماش الخشن، وفي قدميه حذاء ممزق.

وتناول معنا كأساً من النبيذ، ثم ودعنا وانصرف.. والتفتُّ إلى صاحبي وقلت:

— إني لا أصدق كلمة من القصة التي حدثوني عنه..

— ولمَ؟

— إنه يبدو لي رجلاً غريباً ليس في إمكانه أن يقوم بمثل هذه الأعمال التي تنسبونها إليه .

ومرت الأيام .. وفي ذات صباح بعد أن استحممنا في البحيرة صاح بي صديقي قائلاً :

— انظر .. ها هو ذا ويلسن قادم نحونا ..

ورآنا ويلسن فأخرج الغليون من فمه ولوح لنا بيده ، فقصدنا إليه وجلسنا معه نتحدث ..

وسألته : كم عاماً قضيتها هنا ؟ .

فأجاب : خمسة عشر عاماً .. إني أحب هذا المكان أكبر الحب .. وأعرف كل حجر به .. ولدىّ هنا متسع من الوقت للقراءة في شتى الموضوعات .. ولكن الموضوع الذي أحب دائماً أن أقرأ فيه هو التاريخ الروماني ..

قلت : ما أحبه في كبرى هو الفراغ ، والوقت الذي يتسع لكل ما أريد القيام به ..

فأجاب : أجل .. الفراغ .. كم لو علم الناس ... إن الفراغ لأرخص ما في الوجود وأجمل ما في الوجود .. ما أحمق الناس ! .. إنهم لا يدركون أنهم يسعون نحو الفراغ .. العمل ؟ إن الناس ليعملون من أجل العمل .. بينما العمل في الحقيقة ما هو إلا وسيلة تمكن الناس من الحصول على الفراغ .

وتأمل المناظر التي حوله ملياً ، ثم استطرد قائلاً :

— ما أجمل هذا المكان ! .. عندما أتيت هنا لأول مرة ورأيت هاتين الصخرتين الشاهقتين ، ورأيت القمر فوقهما ساطعاً جميلاً .. ورأيت الصيادين يرمون شباكهم في البحيرة ، شعرت بالسلام والنور والجمال يغمرن قلبي .. وقلت لنفسي : لم لا أمكث هنا إلى الأبد ؟ .. لقد ماتت زوجتي منذ أمد ، وقضى المرض على ابني الوحيد ، وليس هناك من أحبهم ومن يضرهم ابتعادي عنهم ..

وصمت قليلاً ، ثم عاد يقول :

— وبدأت أفكر .. لقد كنت فيما مضى أعمل كل يوم ما فعلته في اليوم السابق .. حياة مملة غير جديرة بأن يحياها المرء .. ولو ظللت أعمل هذه الحياة كما يعيش الناس لأحالت على المعاش بعد مدة ولمكثت منتظراً الموت .. لذلك فكرت في أن أهجر العمل وأعيش وفق طريقتي لأتمتع بالحياة ..

ولكني لم أقدم على هذه المغامرة إلا بعد عام .. وذلك عندما قرأت إحدى القصص ..

ملخص القصة هو أنه كان في أحد عصور التاريخ مدينتان : إحداهما تدعى سيباريس ، والثانية كروتونا . وقد استمتع أهل سيباريس بالحياة وعاشوا في مرح وسعادة واستهتار ..

وعاش أهل كروتونا يعملون ويجدون في العمل .. وفي أحد الأيام هجم أهل كروتونا على سيباريس وقتلوا أهلها وخربوا المدينة .

وبعد هذا الهجوم بعام ، هجم أهل مدينة أخرى على كروتونا وقتلوا أهلها وخربوا المدينة ..

وهكذا لم يبق من سيباريس أو كروتونا خبر ، وأصبح مصيرهما واحداً .. فمن من الشعبين جدير [illegible]

لذلك قدمت استقالتي إلى رئيس العمل وجمعت أمتعتي ، وأخذت ما معي من نقود وسافرت وجئت إلى هنا ..

وسألته : ألم تندم ؟ .

فأجاب : أبداً .. إني أتمتع بكل لحظة هنا ..

وأطلت النظر إليه فانتابتني رعشة ، فلما رأى ذلك ابتسم وقال :

— تعال معي .. سأريك منزلي ..

وأراني المنزل الذي يعيش فيه ، وأخبرني أنه قد استأجره من زوجين يعيشان في البلدة .. ثم جلس يعزف على البيان ألحان شومان وشوبير وبيتهوفن وباخ وشوبان ..

لقد مكث خمسة عشر عاماً بالبلدة يتمتع بجمالها ويستمع ويعزف على البيان ويقرأ ويلعب الورق ويحضر الحفلات .. يحب الناس دون أن يتصل بأحدهم اتصالاً قوياً ، ويحبني

بالنساء ولكن حياته منزلة ... لا يهتم بالنساء ولا تفكر عليه غريزته ، لا يقبل أن يسيطر شيء على روحه فيقيدها ويحد من حريتها .. حياته كلها أنانية ، فهو لا يخدم أحداً ، ومع ذلك فهو لا يضر أحداً ! فكل همه هو أن يسعد هو .. وأظنه نال ما يتمناه .. إن القليل من الناس من يعرف أين يبحث عن السعادة ، والقليل جداً منهم من يجدها . لست أدرى أهو غبي أو حكيم ، ولكن ما أعطه حق العلم هو أنه يعرف ماذا يريد لنفسه .

وغادرت كابرى واشتعلت نيران الحرب بعد ذلك بسنة فلم أرجع إليها إلا بعد ثلاثة عشر عاماً .. ووجدت صديقي القديم مرة ثانية ، فسألته عن ويلسن فأجاب :

— إن قصته تبعث الألم في النفس ..

فسألته : هل انتحر ؟ لقد أخبرني أنه سينتحر يوماً ما ..

وبدأ صديقي يقص علىّ قصته ..

— لقد ظل ويلسن يعيش في الجزيرة حتى انتهى ماله وانقطع عنه مورد الرزق ، فبدأ يستدين ، وادعى أنه ينتظر أن يرث ثروة ضخمة .. ولكن المدة طالت وبدأ الناس يشكون في صحة روايته ، فانقطعوا عن معونته ، ولم يستطع أن يدفع أجر منزله ، فهددته المالكة وحددت له مدة يدفع فيها الأجر .

وانتهت المدة .. وفي اليوم التالي وجدوا ويلسن مغشياً عليه في حجرته .. لقد حاول الانتحار حقاً .. وأرسلوه إلى المستشفى فقضى هناك مدة حتى شفي .. وأشفقت عليه زوجة المالك فأباحت له النوم في الإصطبل ، وكانت تقدم له القليل من الطعام على أن يقوم بتنظيف البيت وملء الجرات .

وتابع صديقي القصة فقال :

— ولما ذهبت لأراه وجدته نصف مجنون ، ونظر إليّ نظرة غريبة .. سأحاول أن أصفها لك .. إذا رميت بحجر إلى أرنب فلم يرجع بعث على وجهك نظرة غريبة .. هي نفس النظرة التي كان ينظرها ويلسن ..

والآن ... تجده يمشي طوال اليوم بين الجبال .. وقد حاولت الاقتراب منه مرات عديدة ولكنه كان يفر كما يفر الأرنب البرى ..

إنها الحياة مروعة ، ولكنه نال ما يستحق ..

فأجبت صديقي :

— إن كل إنسان ينال ما يستحق .

وبعد ذلك بثلاثة أيام كنت وصديقي نتنزه بين الجبال فصاح صديقي فجأة ..

— هاهو ويلسن .. لا تنظر إليه لئلا يخاف .. استمر في سيرك ..

فتابعت السير ، ولكني لمحت من طرف عيني رجلا مختبئاً وراء شجرة زيتون .. وشعرت أنه يراقبنا .. وفجأة سمعت صوتاً .. لقد فر .. كما يفر الحيوان المطارد ..

ومات ويلسن في السنة الماضية .. لقد تحمل هذه الحياة ست سنوات ، ووجدوه أخيراً راقداً في سلام ، كما لو كان قد مات أثناء نومه .. مات بين الصخرتين المتلاصقتين وتحت ضوء القمر الساطع ..

[illegible] الطيبة .

حسين أحمد أمين

إعلان مناقصـــة

مصلحة الأمـــلاك الأميرية ، تعيد في المناقصة العامة طرح عملية حفر مصرف بوسط بعض إقطاعيات زراعة الروضة بتفتيش دسوق ومقره أبي غنيمة .

والجلسة ظهر يوم الاثنين الموافق ١٧ إبريل سنة ١٩٥٠ بمقر التفتيش المذكور ، ويمكن استلام الشروط والقوائم الخاصة بها ، والاطلاع فقط على الرسومات من التفتيش أو المندسة المختصة بالتفتيش ، نظير مبلغ ٢٠٠ مليم للنسخة الواحدة ، اعتباراً من ١٥ مارس سنة ١٩٥٠ .   ٤٣٩٣

أتصور من وقت إلى آخر أني لا بد قاتلها . والحقيقة أننا نختلف أحياناً بأفكار نحسها ونخجل من التصريح بها ، فكم تمنيت موت أو تهرب مع عشيق لها أو تموت ميتة طبيعية مريحة مفاجئة حتى أنال حريتي .. ولكن هذه الفكرة التي كانت تراودها لم يسبق أن طرقت ذهني أبداً .. أبداً .

وهكذا كان ذلك الحلم أو علينا معاً ، فقد أخاف زوجي حاولت أن تكون محتملة أكثر مما كانت من قبل ، ولكني كنت إذا ما صعدت درجات السلم إلى مسكننا لا أملك إلا أن أتطلع من فوق الحاجز وأتخيل مقدار السهولة التي يمكن أن ألحق بها حتفها ، فقد كان الحاجز منخفضاً .. حركة سريعة .. وينتهي الأمر . وأصبح من الصعب علي أن أطرد هذه الفكرة من رأسي !.

وحدث بعد ذلك بشهور أن أيقظتني زوجي في إحدى الليالي ، وكنت متعباً ساخطاً ، ولكنها كانت باهتة اللون ترتعش من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها ، فقد راودها الحلم ثانية ، فانفجرت باكية وهي تسألني عما ... أكثر ... فما كنت لها وأنا أقسم بمختلف ... أنها .. حتى اطمأنت وهدأت نفسها وغلبها النوم في النهاية . كان ذلك أكثر مما أحتمله فبقيت مستيقظاً .. وخيل إلي أني أراها وهي تهوي إلى الدهليز وأسمع صوت اصطدامها بالأرض الصلبة .. فوجدتني أرتعش .

توقف الرجل الروسي عن الكلام وقد تصبب العرق من جبينه ، لقد سرد القصة سرداً حسناً وفي طلاقة عجيبة استرعت انتباهي كله . وكانت هناك قلة من الفودكا باقية في الزجاجة فصبها وابتلعها دفعة واحدة . ثم أخرج منديلاً قذراً ومسح به جبينه وعاد يقول :

وحدث للمصادفة الغريبة أن وجدوها في وقت متأخر من إحدى الليالي ملقاة في الدهليز مهشمة الرأس .

فسألته : ومن الذي وجدها ؟.

قال : وجدها أحد السكان الذي وصل بعد وقوع الحادث بقليل .

قلت : وأين كنت أنت ؟.

ولا يمكني وصف النظرة الخبيثة التي تخصني بها ، فقد لمعت عيناه الضيقتان السوداوان ثم قال :

— كنت أقضي المساء عند أحد أصدقائي .. ولم أعد إلا بعد انقضاء ساعة على الحادث .

وحينئذ أحضر لنا الخادم طبق اللحم الذي سبق أن طلبناه فمكث الروسي يلتهمه في شهوة وهو يجرف الطعام إلى فمه جرفاً .

وتولتني الدهشة .. هل قصد أن يخبرني بهذه الطريقة أنه هو الذي قتل زوجته ؟ إن هذا الرجل البدين البليد لا تبدو عليه سمات الإجرام ، ولا أعتقد أنه يملك الشجاعة الكافية ليرتكب ذلك ، أو لعله يسخر مني ويضحك علي بهذه الحكاية ؟.

وحان الوقت لأستقل قطاري فغادرت زميلي ، ولم أره بعد ذلك اليوم .. ولكني لم أتمكن أبداً من أن أقرر هل كان الرجل جاداً أو هازلاً في قوله .

حسين فخري خليل

وزارة العدل

تعلن عن فقد قسائم التحصيل من نمرة ٩٥٦٠٩٧ إلى نمرة ٩٥٦١٠٠ (استمارة رقم ١٥٥ ع . ح) بدون استعمال من نيابة مركز دمنهور الجنسية ، وهي قسائم حمراء .

وقد اعتبرت الوزارة هذه القسائم ملغاة ، فلكل من تعرض عليه أو عثر عليها بأي الطرق أن يعلم بأن لا قيمة لها ، وأن استعمالها يعد تزويراً ويعرض مستعملها للمحاكم الجنائية . ١٣٥٣

يا مقلة الحبيب ، ويك ، قف
أقضي حق الوداع ، وانصرف
وإذا احتجت للوقود فهل
ضاق الصدر ما بذاك يفي
فهو أحمى من كل محترق !

•••

آه ! يوم الاثنين فيك غدا
ثملا بعد عقده بيدا
هل أراه يعود منعقدا ؟
أم سألقى بحيرتي كمدا
باكياً مهجتي من الحدق !

(العراق) علي جليل الوردي

ملابس شاعر

في أحد أمسية البرد السابق سطا لص بريء فسرق ملابسي وملابس أطفالي . ولما اشتد البرد ذكرت هذه الملابس ورثيتها بهذه القصيدة :

•••

سرق الجديد مع القديم   حتى ملابس المستطيع
ومضى ولم يلتفت راحماً   هل ثم من لص رحيم
أمسى صوان ملابسي   قفراً وقلبي في وجوم
قد ضاع ما جمعته   وذخرت لليوم المظلم
حلل بذلت لها أعز   ز المال من دخل السقيم
وكرثتها بلبسها   لأرد عادية الهموم
علقتها بمشاجب   فحكت عناقيد الكروم
وحنت على خلقها   تخفى عرآها الوسيم
وحملتها لسرادق   وحسبتها محفل عروس
فلطالما حاك الزما   ن ملابس القشر النعيم
فإذا الزمان يسوقني   يوماً ويحث بالحريم
يختالها في زوجة   وعز مراثي النسيم
لو كان يرزق كل لـ   ص حكمة الرجل الحكيم
أبق ولو يمض الردى   يبقي في الزمن المشئوم
لكنه قاسي وطنه   استحقرت في القديم

•••

وعلى عنق القديـ   ـم مضى ولم ألأ باللوم
صاحبتني عهداً فكنـ   ـت أعز من خل حميم
ووقيتني شر القوا   رس والعواصف والسموم
ما كنت يوماً بالمجو   د لمن يرى بك ذاك يحيي
أخرجك لص ظالم   فغدوت كالأمس القديم
وتركتني أسوان في   قلق وفي حزن مقيم
لا تعذلوه فربما   ولى ولم يلتفت باللوم
وأربما سيخ القفا   ر فلم يعدو كالظليم
في ليلة تحكي سنا   ئمها لنا وجه اللئيم
قد كالها بسواده   لي منها يسير نعيم

•••

تبكي «مسعدة» حظها   وتراه في خطر جسيم
لا تشكي العبرات فهـ   ـي أجمل من در نظيم
ورمى البكا ثوب الغنا   في أعز أثوابي النعيم
وبكى ابني «محمد»   ما نال من خرق أليم
قد كان يرفل في الجديـ   ـد فصار يمشي في القديم
ورنا الي بحيرة   تختلج باطنة الحليم
... ... والعز يرنو رحيم
ومنحت ... أو ...   يشفي الكلام أبي الكلوم
ورنا إلي مصدقاً   في نظرة الزهر البسيم

•••

في أول الشهر الكريـ   ـم وفيت بالوعد الكريم
وشريت حلته ورخـ   ـت أزرتها مثل النسيم
ومنحته جبة النعـ   ـم منحة الصبر العظيم
فرأيته جذلان يـ   ـا نسال يتف العليم
قد يدعو دعوة الكـ   ـروب يضرع كاليتيم

•••

هذا الصبي رأى القنا   عة خير مطلب مروم
والناس غرقى في الطلا   مع يحلون عن العديم
يتصارعون على الحيا   ة وينهلون من السموم
يتحدثون عن السعا   دة والسعادة في الجحيم
وترام أصارها   وهم على دائر ولوم

محمد عبده الحاضي

مطبعة دار الرسالة للطباعة والنشر